الفصل الرابع

مباحثات السلام الإسرائيلية ـ الفلسطينية

حرب السلام

في عالم السياسة لا يوجد المطلق : الحق والباطل الذي لا يختلف حوله اثنان لا يوجد في عالم السياسة سوى نسيج متداخلة خيوطه بعضها داخل البعض .. الخير في الشر ، القوة في الضعف .. الأبيض في الأسود .. ففي السياسة لا خير مطلق ، ولا شر مطلق ، إنما ظلال من هذا وذاك في تناغم مثير لتكون الحياة بخيرها وشرها، بحلوها ومرها كما نحياها ، يخرج الخير من الشر ، وتنطلق القوة من الضعف ، ويشق العدل طريقه من براثن الجور والظلم . (1)

من براثن أسوأ ما تعرض له العالم العربي في حرب الخليج الثانية من تمزق وضعف وانقسام وتشتت وهوان بدا وكأن شعاعا من الأمل قد بزغ ليبشر بعهد جديد ، إذ عادت إلى السطح مرة أخرى فكرة تحقيق سلام في الشرق الأوسط لحل النزاع العربي / الإسرائيلي ، وكانت المبادرة تلك المرة من جانب الولايات المتحدة حيث أطلق جورج بوش – الأب – ووزير خارجيته جميس بيكر مبادرة عرفت بمبادرة بوش / بيكر ، وهي مبادرة وإن لم تكن الوحيدة لحل الصراع في الشرق الأوسط حيث سبقتها مبادرات أخرى متعددة سعيا لحل تلك الأزمة التي اشتهرت من كثرة ما مر بها

---

(1) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ١٢

من مبادرات " بأزمة الفرص الضائعة " ، ولعل من أشهر تلك المبادرات تلك التي قام بها الرئيس المصري الراحل " محمد أنور السادات " عندما قام بزيارته الفريدة الشجاعة إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧ واجتماعه لأول مرة منذ قيام إسرائيل بقيادتها السياسية من مختلف الاتجاهات والأحزاب في عقر دارهم ووجها لوجه دون وساطة أو وسيط .

وتمخض عن تلك الزيارة توقيع اتفاقيات " كامب دافيد " التي وضعت إطار للسلام في الشرق الأوسط ، وتوقيع معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ترتب عليها انسحاب إسرائيلي كامل من تراب مصر ، وكان يمكن أن تمتد آثار تلك المبادرة لتشمل دول الطَّوْق في حينه بدلا من إضاعة تلك السنوات الطوال التي طرأت خلالها عوامل كثيرة زادت من تعقيد المشكلة .

كما كانت هناك العديد من الفرص التي أهدرت إلا أن المؤتمر الإقليمي وما ستسفر عنه من محادثات ثنائية بين أطراف الصراع العربي الإسرائيلي والمحادثات متعددة الأطراف بين دول الصراع وأطراف أخرى معنية والتي طرحها الرئيس الأمريكي السابق " جورج بوش الأب " ووزير خارجيته " جميس بيكر " كانت أسعد حظا إذ حظيت بقبول عام من كافة الأطراف وبالتالي فإننا نستطيع القول إن أزمة الخليج بكل أبعادها التي ترتبت عليها ، وإن لم تكن السبب الوحيد ، إلا أنها كانت السبب المباشر لنجاح مبادرة " بوش/ بيكر " في تحقيق محادثات مباشرة للسلام بين إسرائيل والدول العربية المعنية .

كانت هناك العديد من الدوافع المختلفة لدى الأطراف المعنية حفزت كل منها على الدعوة للفكرة أو القبول بها والمشاركة فيها وذلك إما لتحقيق استقرار مصالح سنحت أو حفاظ على مطامح تحققت أو حرصا على استغلال فرصة فريدة قد لا تكرر أو انحناء لريح عاصفة حتى تهدأ وتستقر وتمر دون التعرض لخسائر فادحة قد يصعب إصلاحها فيما بعد .

توفرت كل تلك العوامل والدوافع في ظل مناخ دولي جديد بدا في حينه وكأنه يبشر باتجاه عام لحل النزاعات والصراعات الإقليمية بالطرق السلمية بعد أن انتهى عصر الحرب الباردة والتصادم بين الكتلتين الشرقية والغربية وبعد نبذ الشعارات العنترية واستبعاد طريق السلاح لفرض حل النزاعات والصراعات الإقليمية وهو الطريق الذي لم يحسم شيئا أو حل مشكلة من قبل .([1])

في السابع من شهر مارس ١٩٩١ أي بعد أسبوع واحد فقط من نهاية حرب الخليج وقف الرئيس الأمريكي " جورج بوش الأب " ليلقي كلمة أمام الكونجرس أعرب فيها عن أمله في أن تنطلق قوى السلام من بين أهوال الحرب ، وأعلن عن عزم بلاده على إحياء قرارات الأمم المتحدة بشأن النزاع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية وقراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ ، ٣٣٨ مع تطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام أي مبادلة الأرض العربية المحتلة بالسلام الإسرائيلي المفقود.

كانت كلمة الرئيس بوش بمثابة إشارة البدء للتحرك العملي إذ قام وزير خارجيته " جميس بيكر " وهو من أكفأ من شغل هذا المنصب بأربع جولات مكوكية على مدى سبعين يوما بدأ من السابع من شهر مارس حتى السابع عشر من مايو ١٩٩١ زار خلالها سوريا ، والسعودية ، والأردن ، ودول الخليج ، ومصر ، وإسرائيل ، وتركيا . تم خلالها بلورة وطرح فكرة عقد مؤتمر إقليمي للسلام تدور فيه محادثات مباشرة بين العرب والإسرائيليين على أن يدعو لهذا المؤتمر ويرعاه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ويتم خلاله بحث سبل حل الصراع بالتفاوض المباشر بين إسرائيل والدول العربية المجاورة وبين الفلسطينيين من خلال وفد أردني فلسطيني مشترك .

([1]) انظر الفصل الأول من " حرب السلام " للسفير صلاح عابدين دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر

بالإضافة فإن بيكر لم ينس أن يُضَمِّن مباحثاته مع الأطراف المعنية بشأن الدعوة لمؤتمر السلام الجانب الاقتصادي كذلك باعتبار أن الاقتصاد يمكن أن يكون سندا ودعما للسلام إذا ما تم بحث فرص ومجالات التعاون الإقليمي المستقبلي بين دول المنطقة على أن ينضم إليها دول أخرى من خارجها في محادثات متعددة تشارك فيها الأمم المتحدة بممثل له صفة المراقب والمتابع الصامت ، والمجموعة الأوربية بممثل له صفة أكبر من صفة ممثل الأمم المتحدة ، كما يشارك مجلس التعاون الخليجي ودول أخرى في اللجان المتعددة الأطراف التي تقوم ببحث قضايا التعاون الإقليمي .

لم يكن الأمر إذن مجرد السعي للتوصل إلى إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لبعض الأراضي العربية فقط وإنما امتدت الرؤية الأمريكية لأبعد من ذلك لتحقيق تعاون إقليمي مستقبلي بين دول المنطقة في مختلف المجالات أسوة بما تحقق بين دول المجموعة الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية [1]

في الثامن من شهر أكتوبر ١٩٩١ وبعد الحصول على موافقة الأطراف المعنية وجه كل من الرئيس الأمريكي " جورج بوش " والرئيس السوفييتي " ميخائيل جورباتشوف " الدعوة إلى كل من إسرائيل وسوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين لحضور مؤتمر للسلام يعقد في الثلاثين من أكتوبر ١٩٩١ بالعاصمة الأسبانية " مدريد " وقد جاء في الدعوة لمؤتمر مدريد للسلام أنه بالنسبة للمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين – الذين هم جزء من الوفد الأردني المشترك – فإنه سيتم على مرحلتين ، تبدأ بمباحثات حول ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت بهدف التوصل إلى اتفاق في موعد أقصاه سنة واحدة ، وبحيث يسري العمل به لمدة خمسة أعوام على أن يبدأ من العام الثالث المفاوضات بشأن الوضع الدائم ، وأن هذه المفاوضات بشأن الوضع الدائم بين إسرائيل والدول العربية المشار إليها من قبل ستكون على أساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨.

([1]) نفسه .

الدوافع الأمريكية لإحياء عملية السلام

حبا الله منطقة الشرق الأوسط ثروات طبيعية ذات أهمية حيوية ، وعلى رأسها البترول الذي يعد الشريان الرئيسي الذي يغذي الولايات المتحدة وحليفاتها من الدول الغربية والصناعية بالجانب الأكبر من حاجاتها لتسيير عجلة الصناعة والرفاهية لشعوبها ، وربما كان فيما ذكره الرئيس الأمريكي الأسبق " ريتشارد نيكسون " في كتابه الأخير " اقتنص الفرصة " Seie The Moment " خير دليل على أهمية تلك المنطقة ، حيث يقول : " إن المصالح الأمريكية تكمن في الشرق الأوسط ، وأن هذه المصالح تقضي بتدفق بتروله بدقة وانتظام ، وبدون أزمات وبأسعار معقولة " .

إذن هي منطقة إستراتيجية حيوية ومهمة ، وربما أمكن اعتبارها الخط الأحمر الذي يمكن أن يبدأ منه تهديد مباشر للمصالح الحيوية الأمريكية والغربية في حالة تعرضها للخطر أو القلاقل والاضطرابات ، وهذا هو الأمر الذي جعلها تشكل ركنا أساسيا من أركان السياسة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن .

انتهت حرب تحرير الكويت من الغزو العراقي لتخرج الولايات المتحدة منها وقد تُوِّجت قطبا أوحد على عرش نظام دولي جديد ، وذلك بعد تدهور الأوضاع في الاتحاد السوفييتي وانهياره وتفتته كما حدث فيما بعد إلى دويلات صغيرة ، وأصبح لزاماً على أمريكا – ولو أدبياً على الأقل – أن تواصل نهجها وشعارها الذي رفعته خلال أزمة الخليج لدحر العدوان تحت عباءة الشرعية الدولية وهو الشعار الذي مَكَّنها لأول مرة في التاريخ من حشد ذلك التحالف الدولي الضخم في جبهة واحدة .

أصبح على الولايات المتحدة بحكم وضعها الجديد تطبيق نفس المنهج ، والأخذ بذات المبادئ التي نادت بها إبان أزمة الخليج حتى لا تقع في محاذير المواجهة بازدواجية التعامل مع مبادئ الشرعية الدولية بما قد يفقدها مصداقيتها أمام العالم

بصفة عامة ، والشرق الأوسط ودوله العربية بكل ما لها من أهمية وحساسية بصفة خاصة .

وبعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحمي مصالحها في المنطقة من قبل بتوكيل منها لغيرها نيابة عنها ، أصبحت هي نفسها التي تقوم بهذا الدور بنفسها دون الحاجة إلى وسيط ، وهي لن تستطيع أن تفعل ذلك وتضمن استمراره ما لم يتم التوصل إلى نوع من الاستقرار الذي لن يتوفر بدوره ما لم تتم تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي على أن تكون تلك التسوية مقبولة من أطراف الصراع وبرضاها النابع من إرادتها الذاتية ، ذلك أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية وانتهاك الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتصاعد الانتفاضة الفلسطينية وقوة ردود الفعل الإسرائيلي لها ، وتدفق الهجرة اليهودية السوفييتية لإسرائيل التي أخذت في الازدياد في ذلك الوقت مع استمرار قيام إسرائيل بتغيير طبيعة الأرض المحتلة وتركيبة السكان وتوسعها في زرع المستوطنات الإسرائيلية في أي مساحة متاحة ، مع ما يصاحب ذلك من إحساس متزايد بالإحباط العربي .

كل ذلك كان لابد أن يؤدي إلى حروب عربية إسرائيلية إن عاجلا أو آجلا ، وسيكون الخاسر الأكبر فيها أمريكا وحلفاءها ، بل وحتى أصدقاؤها من دول المنطقة الذين سيتعرضون لحرج بالغ وضغوط يصعب عليها تحملها لوقت طويل .

كان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بالدور المطلوب والمنتظر منها ، ليس من أجل الحق والعدالة والشرعية الدولية فحسب وإنما أيضا حماية لمصالحها الذاتية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بعد حسم الصراع العربي الإسرائيلي حتى يسود السلام وتتحول موارد الإقليم البشرية والطبيعية لخدمة السلام ورفاهية الشعوب .

إضافة إلى ما سبق ذكره كان هناك عنصر مهم آخر حفز الولايات المتحدة على الإقدام على التدخل لحل الصراع العربي الإسرائيلي سلميا هذا الحافز هو زوال

الأنظمة العربية المعادية للحل السلمي التفاوضي للصراع العربي الإسرائيلي بعد أن تم إسقاط النظام العراقي وتدمير العراق عسكريا واقتصاديا . وشغل دول الرفض بقضايا ومشاكل أمنها وسلامتها كاتهامها بالإرهاب أو التهديد بوضعها على قائمة الدول التي تساند أو تصدر الإرهاب ، أو فتح ملفات قديمة مثل ملف قضية " لوكيربي " بالنسبة لليبيا .

لهذه الأسباب وغيرها لم يكن أمام الولايات المتحدة إبان أزمة الخليج وفي خضمها إلا أن تعلن التزامها القاطع بالسعي والعمل على حل الصراع العربي الإسرائيلي وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة في فلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن فور الانتهاء من تحرير الكويت وذلك من خلال تسوية شاملة وفقا لقواعد ومبادئ الشرعية الدولية مع ضمان من الشركاء الأوربيين على تنفيذ ذلك الالتزام ، وكانت الدعوة لمؤتمر السلام الذي لقي ترحيبا وموافقة من جميع الأطراف المعنية حيث تتقابل وتتفاوض فيه إسرائيل مع كل دولة من الدول العربية المعنية في محادثات مباشرة وجها لوجه ودون وسيط . ([1])

الأسباب التي ولدت لدى إسرائيل الرغبة في السلام

إن الجنوح إلى السلام أمر قد يكون مفهوماً بالنسبة للعرب (بعد الهزائم المتكررة) ولكن الأمر بالنسبة للإسرائيليين يحتاج إلى قليل من الشرح والتفسير .

لقد نعمت إسرائيل بوضع خاص متميز لدى الولايات المتحدة بدعوى أنها واحة الديمقراطية الحقيقية الوحيدة في الشرق الأوسط ، وباعتبارها عصا المصالح الأمريكية والغربية الغليظة التي كانت على أهبة الاستعداد دائما لأن تنهال بها على ظهر من

([1]) انظر الفصل الثاني من " حرب السلام " للسفير صلاح عابدين دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر

تسول له نفسه الخروج على قواعد اللعبة المسموح بها في المنطقة . بما قد يهدد المصالح الأمريكية الغربية ، ولم يكن غريبا بالتالي أن تغدق عليها في تلك الحقبة بالمساعدات المالية الاقتصادية ، وأن تمتلئ ترساناتها العسكرية بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا السلاح الأمريكي المتقدم الذي كانت الولايات المتحدة تضن به حتى على شركائها في حلف الأطلنطي مما جعل إسرائيل حليفتها تتفوق على الدول العربية مجتمعة في المجال العسكري .

ونتيجة أن مصر عبد الناصر رفضت سياسة الأحلاف الأمريكية ، والمفاوضات السلمية مع إسرائيل . فإن حكام إسرائيل لم يجدوا ضرورة للركض وراء السلام، لأن العرب سيطلبون ثمناً : حدوداً أو عودة لاجئين أو كليهما. فإسرائيل لم تكن تريد السلام لا بالتفاوض ولا بغيره، بعد أن نجحت في إقامة الدولة حرباً، لأنها لم تكن مستعدة لدفع ثمن هذا السلام، بل كان التوسع طموحها.

غير أنه ومنذ منتصف السبعينيات ومع الأزمة الاقتصادية التي شهدتها إسرائيل في أعقاب حرب ١٩٧٣، بدأ اهتزاز نموذج الصهيونية العمالية وتعالت الأصوات منادية بتطبيع الاقتصاد الإسرائيلي، الأمر الذي انعكس بطبيعة الحال على السياسة الخارجية الإسرائيلية، باعتبار أن هذه السياسة هي، في التحليل الأخير، دالة في مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالقدرات الذاتية للدولة، والظروف الدولية، وإدراك النخبة الحاكمة لهذه القدرات وتلك الظروف .

وتزامن ذلك مع حدوث مجموعة من المتغيرات استوجبت أن تشمل عملية إعادة النظر في نموذج الصهيونية العمالية السياسة الخارجية: فمن ناحية جاء التحدي العربي غير النظامي ليطرح التساؤل حول كفاءة الأداة العسكرية الإسرائيلية في تحقيق الأمن. فإسرائيل في لبنان قامت، لأول مرة في تاريخها، بانسحاب منفرد من أراض

احتلتها، والانتفاضة الفلسطينية طرحت الشكوك- في ظل عجز الجيش عن إخمادها- حول قدرة الأداة العسكرية على مواجهة التحدي غير النظامي وهي التي نجحت بشكل عام في مواجهة التحديات النظامية .

ومنذ ذلك الحين، أو قبل ذلك بقليل، بدت الدبلوماسية الإسرائيلية أكثر كفاءة في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية من الأداة العسكرية. فكان التفاوض والصلح مع مصر ١٩٧٩، وكان اتفاق أوسلو ١٩٩٣، وكان الاتفاق مع الأردن ١٩٩٤... إلخ. والمثير هنا أن هذه الاتفاقات، وبخاصة الاتفاق مع مصر، عكست انتصار منطق الدولة ودرجة من تطبيع السياسة الخارجية الإسرائيلية. فالانسحاب من سيناء، ذات الأهمية التاريخية النسبية من وجهة النظر الصهيونية، والبقاء في الجولان، بل محاولة ضمها فعلياً عام ١٩٨١ بإخضاعها للقانون الإسرائيلي، كان يعني أن الإستراتيجية هزمت الأيديولوجية، وأن منطق الدولة قادر على إزاحة منطق الأيديولوجيا إذا ما تعارضا. ومن ثم أضحت مهمة منطق الأيديولوجيا هي البحث عن صيغة للتعايش مع التطبيع الذي بدا آتياً لا محالة.

وأخيراً فقد جاء انهيار الاتحاد السوفيتي، ثم حرب الخليج التي تحولت فيها إسرائيل من رصيد إستراتيجي إلى عبء إستراتيجي على الولايات المتحدة التي اضطرت للحضور بنفسها للدفاع عن مصالحها الإستراتيجية، ليطرحا التساؤل بشأن كفاءة الدولة الوظيفية ويثيرا قدراً ضئيلاً من الشكوك حول العلاقة التعاقدية. (1)

وكان لابد من نوعية جديدة للعلاقات بين واشنطون وتل أبيب ولو مؤقتا عما كانت عليه من قبل بعد أن قَلَّتْ حاجة الولايات المتحدة إليها في المنطقة بل ربما كان

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ٤ " البُعد الصهيوني للسياسة الخارجية الإسرائيلية " .

إبعادها عن مشاكل المنطقة الساخنة ما يحقق فائدة أكبر مما لو تورطت فيها ما لم يتم التوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي . ولعل أحداث الخليج التي بدأت بغزو العراق للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ خير مثال لذلك إذ طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من تل أبيب عدم التدخل في ذلك النزاع ، بل وصل بها الأمر إلى مطالبتها بعدم الرد على استفزازات الرئيس العراقي صدام حسين الذي وجه صواريخه وأطلقها بالفعل على تل أبيب وبعض المدن الإسرائيلية الأخرى ، وذلك ضمانا لاستمرار تأييد العالم العربي لقوات التحالف الدولي والمشاركة في تلك القوات . وبعد انتهاء حرب الخليج فإنه كان من الصعب أن يكون لإسرائيل دور بارز في المخططات والترتيبات التي تعد لأمن المنطقة ودولها الغنية بالبترول مع استمرار وضعها المرفوض من جانب الدول العربية في ذلك الوقت حيث إن مجرد التفكير في دور رئيسي لها بالمنطقة كان كفيلا بإسقاط أي ترتيبات لاحقة . وذلك ما لم يتم التوصل إلى حل وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي .

كان هناك عامل آخر يستوجب إعادة النظر في نوعية العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ألا وهو حجم ما تقدمه أمريكا من مساعدات مالية واقتصادية ضخمة لتل أبيب الأمر الذي يشكل مع غيره من المساعدات الخاصة عبئا على الاقتصاد الأمريكي المرهق بالفعل بالمشاكل الداخلية مما وصل بأمريكا إلى أن يكون أكبر دولة مَدِينة في العالم ، الأمر الذي حدا بالرئيس الأمريكي " بيل كلينتون " أن ينص في برنامجه الانتخابي للرئاسة الأمريكية منافسا للرئيس " بوش " (الأب) عام ١٩٩٢ على أنه سيعطي الاقتصاد والقضايا الداخلية الأمريكية الأولوية الأولى في نشاط إدارته إذا ما فاز بالرئاسة . إضافة إلى ذلك فإن التزامات الولايات المتحدة الجديدة كقطب أوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي كان لابد وأن يترتب عليه التزامات وأعباء مالية جديدة على الساحة الدولية [1]

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٤ .

وعلى صعيد البيئة الإقليمية، أثبتت خبرة الحروب العربية / الإسرائيلية فشل الحرب في تأمين السلام لإسرائيل وعجزها عن توفير الأمن لها، في حين رأى عدد كبير من أعضاء المؤسسة الصهيونية أن التفاوض مع العرب بضمانات دولية قد يلبي الحاجة إلى الأمن وخصوصاً في ظل تَزايُد إدراكها أنها رغم تَفوُّقها العسكري لم تتمكَّن من فرض استسلام غير مشروط على العرب، بل على العكس فقد تمكَّن العرب من تجاوز العديد من مضاعفات وآثار هذا التفوق. وأثبتت حرب ١٩٧٣ وغزو لبنان ١٩٨٢ ، محدودية القوة الإسرائيلية وعجزها .

ولعل المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة في الضفة والقطاع التي بدأت منذ الأيام الأولى للاحتلال ، والانتفاضة التي بدأت وشبت بأطفال الحجارة منذ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٨٧ م والتي لم تنطفئ جذوتها بعد برغم كثرة الشهداء الذين يتساقطون كل يوم لخير دليل على أنه لا سياسة العنف ولا سياسة " تفتيت العظام " بقادرتين على تحقيق الأمن والأطماع التوسعية لإسرائيل . فقد كانت الانتفاضة أقوى ضربة وجِّهت لنظرية الأمن الإسرائيلي والتي أصبح بعدها إنكار وجود الشعب الفلسطيني غير ممكن. ومن هنا كان الاعتراف بهم بوصفهم «الفلسطينيين»، كما في صيغة مدريد واتفاقية أوسلو. وبذلك لم تَعُد نظرية الأمن الإسرائيلي تختص بالأمن الخارجي إذ أصبح الداخل هو الآخر مصدر تهديد، وهو ما لا تستطيع إسرائيل حياله شيئاً فهي لا تستطيع أن تحرك جيوشها لقمع الانتفاضة.

وبذلك أسقطت الانتفاضة الدور الوظيفي للجيش الإسرائيلي، ولو مؤقتاً، كما أنها غيَّرت مفهوم الأمن لديها من كونه تهديداً خارجياً إلى كونه هاجساً أمنياً داخلياً لا يمكن السيطرة عليه مهما بلغت قوة إسرائيل العسكرية من بأس وشدة. ولعل هذا هو الذي دفع الإسرائيليين بالمطالبة بأن يتزامن توقيع اتفاق أوسلو مع إعلان الفلسطينيين وقف الانتفاضة، وهو ما لم ينجح أبداً .

وأدَّت حرب الخليج الثانية إلى إبراز عدد من الفجوات في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي، حيث أوضحت أولاً : أن الجيش الإسرائيلي لا يمتلك قدرة ملائمة مضادة للتهديدات الصاروخية لاسيما التهديدات القادمة من بُعْد. وأدى القصف الصاروخي العراقي . رغم محدودية تأثيره المادي . للعمق الإسرائيلي إلى انكشاف المؤخرة الإسرائيلية بما فيها من تجمعات سكانية كثيفة، وازداد إدراك الخطر الصاروخي في ظل سعي دول المنطقة إلى امتلاك قدرة صاروخية بإمكانها إصابة أهداف إستراتيجية إسرائيلية .

كما أن حرب الخليج من ناحية ثانية أظهرت استحالة قيام الجيش الإسرائيلي بتنفيذ مفهومه الأمني التقليدي القائم على نقل الحرب بسرعة إلى أرض الخصم، وخصوصاً أن عنصر البُعْد الجغرافي قلَّل كثيراً قدرة السلاح الجوي الإسرائيلي على توجيه ضربات عنيفة إلى العراق .

يُضاف إلى ذلك أن عملية تسوية الصراع العربي الإسرائيلي سوف تكون لها انعكاسات إستراتيجية بارزة، حيث يفترض أن تفضي هذه العملية إلى قيام إسرائيل بتقديم تنازلات جغرافية إقليمية وهو ما يعني تآكل العمق الإستراتيجي، والتخلي عن مفهوم الحدود الآمنة بالمعنى الجغرافي، وإقامة تعاون اقتصادي يكفل إقامة شبكة علاقات اقتصادية متداخلة بين جميع دول المنطقة.

والتقديرات الإستراتيجية الإسرائيلية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتدمير القوة العسكرية العراقية تخلُص إلى التهوين من احتمال نشوب حرب عربية شاملة ضد إسرائيل على المستويين القصير والمتوسط (مع عدم استبعادها على المدى الطويل)، مع تحوُّل الدول العربية نحو الشكل السلمي للصراع، وفي ظل التحالف الإستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي. ورغم انكماش التهديدات الفعلية واسعة النطاق الماثلة أمام

إسرائيل، فإن هناك طائفة واسعة من التهديدات المحتملة والكامنة والمقصورة، فمن ناحية أولى طرأت نوعيات جديدة من التهديد العسكري ليس من اليسير إيجاد حلول عسكرية واضحة لها، بل أصبح من الصعب تشخيصها وما إذا كانت ذات طبيعة دفاعية أم هجومية. وأبرز مثال على ذلك الانتفاضة الفلسطينية، وانتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية ووسائل إيصالها وبخاصة الصواريخ البالستية.

ومن ناحية ثانية أدى تطوُّر العملية السلمية وانكماش التهديدات الخارجية واسعة النطاق إلى بدء تبلور "التهديد الداخلي" الناتج عن ضعف التماسك الاجتماعي والتكامل القومي فتفاقمت التناقضات الداخلية الناتجة عن طبيعة التركيب الاجتماعي/السياسي للدولة الصهيونية، وهو ما بلغ أخطر مراحله باغتيال رئيس الوزراء السابق إسحق رابين.(1)

وهناك عامل نفسي ومعنوي آخر نتج عن طول فترة الصراع فقد سئم الرأي العام العالمي – حينئذ – نغمة إسرائيل المتكررة لتبرير استمرار احتلالها للأراضي العربية تحت مختلف الحجج والذرائع .

لهذه وغيرها أصبح العالم – لطول أمد الصراع – أكثر تفهما وتعاطفا واستعدادا للاستماع إلى وجهة النظر العربية ولأبعاد القضية الفلسطينية والحق العربي في الحصول على سيادته فوق أرضه وتقرير مصيره . (2)

وعليه فلم تَعُد الخيارات السياسية أمام إسرائيل بالاتساع الذي كانت عليه سابقاً، وهذا ما يفسر مقولة جيمس بيكر "إن إسرائيل الكبرى فكرة ليست واقعية وليست

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ٤ " الأمن القومي الإسرائيلي في التسعينيات " .

(2) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٥ .

ممكنة"، لأن تحقيق ذلك الهدف يتطلب أن يكون لدى إسرائيل قوة تُمكِّنها من فَرْض سيطرتها على المنطقة دون دعم خارجي تتحمل الولايات المتحدة تكلفته السياسية والمالية وتتحمل معها مزيداً من العداء من قبَل الشعوب العربية.

وفى جانب العوامل العسكرية والسياسية فهناك عوامل اقتصادية دفعت إسرائيل للسير في سبيل المفاوضات السلمية مع العرب . فنتيجة لتقلص المساعدات الأمريكية لإسرائيل فإن الأخيرة تطمح في سوق عربية ضخمة أمام منتجاتها ، وإلى سوق شرق أوسطية تتمتع فيها بالريادة ، كما تأمل بأن تقوم تلك السوق على الثروة النفطية (البترو دولار) واليد العاملة الرخيصة من الدول العربية غير البترولية ، والتكنولوجيا الإسرائيلية .

إضافة إلى ما سبق فإن هناك عمالا آخر لم يغب عن الفكر الإسرائيلي الصهيوني ذلك هو خشيتها من فقدان هويتها اليهودية وتحولها مع الوقت إلى دولة علمانية عربية / إسرائيلية إذا ما سعت إلى تحقيق حلم " إسرائيل الكبرى " وضمت الأراضي العربية المحتلة وذلك نتيجة لزيادة معدل نمو المواليد بين العرب عنه بين الإسرائيليين .

ويمكننا أن نلخص الأسباب التي ولَّدت لدى الإسرائيليين الرغبة في السلام في الآتي :

١ . لم تأت الانتصارات العسكرية بالسلام للإسرائيليين –رغم أن الآلة العسكرية الإسرائيلية وصلت إلى ذروة مقدرتها الحربية– بل إنها جلبت لها المزيد من الحروب .

٢ . منطق جيش الشعب (النظامي والاحتياطي) لم يَعُد ممكناً بالسهولة التي كان عليها سابقاً وذلك بسبب مقتضيات الاقتصاد الإسرائيلي في إطار النظام العالمي الجديد والتكنولوجيا المتقدمة .

٣ . لم يَعُد الإسرائيليون قادرين على تحمُّل الحرب الدائمة والاستنفار المتواصل، باعتبار أن الحرب الخاطفة الساحقة، أي الحرب بدون تكلفة بشرية واقتصادية عالية، لم تَعُد ممكنة.

٤- بدء ظهور علامات الإرهاق والتذمر بين المستوطنين الصهاينة ويظهر هذا في أزمة الخدمة العسكرية والتكالب على الاستهلاك .

٥ - بدء العرب تطوير نظم هجومية ودفاعية، صاروخية عملت على توازن الرعب بينهم وبين إسرائيل .

٦- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ثم حرب الخليج تحولت إسرائيل من رصيد إستراتيجي إلى عبء إستراتيجي على الولايات المتحدة التي اضطرت للحضور بنفسها للدفاع عن مصالحها الإستراتيجية .

٧- تقليص حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل لصالح القضايا الداخلية الأمريكية والتزامات الولايات المتحدة الجديدة كقطب أوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بأعباء مالية جديدة على الساحة الدولية .

٨- طموح إسرائيل في سوق عربية ضخمة أمام منتجاتها ، وإلى سوق شرق أوسطية تتمتع فيها بالريادة .

٩- سأم الرأي العام العالمي نغمة إسرائيل المتكررة لتبرير استمرار احتلالها للأراضي العربية تحت مختلف الحجج والذرائع .ورغبته في تسوية سلمية عادلة تعيد للعرب أراضيهم وحق سيادتهم عليها .

١٠- تعارض المصالح الأمريكية في المنطقة مع منطق إسرائيل العدواني المحتل للأراضي العربية وتفهمها للمنطق العربي صاحب الحق في الأرض والسيادة وصاحب

أكبر احتياطي من البترول تحتاجه أدوات الإنتاج الأمريكية وأكبر سوق أمام منتجات تلك الأدوات .

١١- اقتناع إسرائيل بأنها لا يمكن أن تبقى إلى الأبد جزيرة معزولة في البحر العربي ، وأن انفتاحها على العالم العربي لا يمكن أن يتم إلا إذا حققت تسوية سلمية بينها وبين جيرانها .

لقد كانت مبادرة مؤتمر السلام التي دعت إليها أمريكا والاتحاد السوفييتي بمثابة فرصة قد لا تكرر ثانية في المستقبل المنظور وذلك إذا ما تحدد الوضع النهائي للمنطقة وتصبح إسرائيل إحدى دولها وإن كان هذا لن يمنعها من أن تبحث عن دور جديد يدخلها مرة أخرى في الإستراتيجية الأمريكية لضمان استمرار التأييد والمساندة والمساعدة الأمريكية لها ، كما لن يمنعها من أن تحاول أن تتقاضى ثمن ذلك السلام الذي تنشده هي الأخرى . وربما كان المقدم الفوري الذي تقاضته بالفعل من الاتحاد السوفيتي مقابل موافقتها على شاركته برعاية صورية في الدعوة لمؤتمر السلام في شكل إعادة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية معه ومع باقي دول الكتلة الشرقية بعد قطيعة استمرت ٣٤ عاما . وهي التي أعلن عنها " بوريس بانكين " وزير خارجية الاتحاد السوفيتي خلال زيارته لإسرائيل يوم ١٨ أكتوبر ١٩٩٠ أي قبل مؤتمر مدريد بأسبوعين ، والتي أعلن خلالها أيضا فتح باب الهجرة لليهود السوفييت إلى إسرائيل بلا حدود . مع ضغوط مكثفة أمريكية لتوطين وتسكين أولئك المهاجرين الجدد . [1]

الدوافع الفلسطينية للجنوح للسلام

إن الميثاق الوطني الفلسطيني تبنى الكفاح المسلح وسيلة لتحرير فلسطين ، وكانت التسوية السياسية التي تدعو إليها منظمة التحرير هي إقامة دولة علمانية ديمقراطية

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٨ .

في كافة الأراضي الفلسطينية بحدودها تحت الانتداب البريطاني يتمتع فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون على السواء بالحقوق والواجبات .

وقد بدأت الدعوة إلى إقامة سلطة وطنية في أية أجزاء تتحرر من الاحتلال الإسرائيلي في بيان أصدره " نايف حواتمة " في فبراير ١٩٧٤ متضمنا هذه الدعوة ومدافعا عن هذه الفكرة ، وقد وافق المجلس الوطني الفلسطيني في ٨ يونيو ١٩٧٤ على فكرة إنشاء سلطة وطنية على أية أجزاء تتحرر من الأراضي الفلسطينية باعتبارها خطوة في سبيل إقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، وأدى هذا الموقف إلى فتح الطريق أمام إشراك المنظمة في المساعي السلمية .

وكانت هناك عقبات حالت دون التعامل مع منظمة التحرير كطرف في تلك المساعي تمثلت في الشروط التي وضعها هنري كيسنجر (قبول القرار ٢٤٢ والاعتراف بوجود إسرائيل كدولة ونبذ العنف والإرهاب) والتزمت بها الحكومة الأمريكية في الوقت الذي تمسكت المنظمة فيه برفض قبول القرار ٢٤٢ .

فلما قامت الانتفاضة الفلسطينية ثم أعلن الملك حسين إنهاء روابط الأردن القانونية والإدارية مع الضفة الغربية كان على المنظمة أن تتقدم بحل سياسي مقبول للمسألة الفلسطينية ، واتخذت المنظمة قرارها التاريخي في اجتماع المجلس والوطني الفلسطيني في الجزائر في ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ حيث أعلن المجلس " باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين على التراب الفلسطيني بعاصمتها القدس الشريف "

كما تضمنت قرارات المجلس " ضرورة عقد مؤتمر دولي فعال لموضوع الشرق الأوسط وقضيته المحورية المسألة الفلسطينية " تحت رعاية الأمم المتحدة وعلى أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ [1]

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٨٩، ١٩٠

وبعد أن رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك انتقلت الجمعية إلى جنيف حيث ألقى عرفات في ١٣ ديسمبر كلمة أكد فيها من جديد قبول القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ونبذ العنف وأتبع ذلك بمؤتمر صحفي أكد فيه هذه المواقف .

وبدأ الحوار في تونس بين السفير الأمريكي والحكم بلعاوي ممثل المنظمة واستمر ١٨ شهرا ثم توقف عقب حادث التسلل داخل إسرائيل واتهام أبو عباس بتدبيره .

وأدت الانتفاضة الفلسطينية إلى تحريك الموقف الدولي وبذل جهود جديدة لدفع عملية السلام [1]

لقد تضافرت مجموعة من العوامل أثرت على مجمل الأوضاع في المنطقة العربية وعلى مقومات مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي، حيث شهد عقد التسعينيات تحولات وتطورات غيَّرت مفاهيم كثيرة كانت راسخة، وقلبت موازين كانت مستقرة، فقد اختفت الدولة السوفيتية من الخريطة السياسية العالمية، وأدَّى انتهاء الحرب الباردة إلى فقدان العديد من الدول العربية الفاعلة حليفها الإستراتيجي القديم، وإلى انعدام هامش المناورة أمامها، الأمر الذي قلَّص إلى حدٍّ بعيد قدرتها على شن حرب ضد إسرائيل، ولكنها أدَّت إلى تقوية الموقف الإسرائيلي في الميزان الإستراتيجي، فضلاً عن اتساع نطاق هجرة اليهود السوفييت وبخاصة من العلماء وذوي الكفاءات والخبرات، وتنامت العلاقات الروسية الإسرائيلية حتى تُوِّجت بتوقيع اتفاق للتعاون الدفاعي والأمني في ديسمبر ١٩٩٥.

وفي ظل انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة في الساحة العالمية، تم توطيد التحالف الإستراتيجي الأمريكي / الإسرائيلي، وامتد إلى مجال أنظمة التسلح الكبرى التي تعتمد

([1]) نفسه ص ١٩١

في الأساس على الثورة التكنولوجية، كما أبرزت تلك التطورات العالمية علو شأن الاقتصاد والاتجاه نحو التكتلات الاقتصادية.

أدى موقف منظمة التحرير المؤيد للرئيس العراقي صدام حسين ورفضها إدانة غزوه للكويت إلى الإضرار بصورتها العامة على الساحة الدولية فضلا عن تدهور علاقاتها مع السعودية والكويت وبقية دول الخليج وفتور علاقتها مع مصر وبقية الدول العربية التي وقفت في وجه العدوان العراقي . وأدى تدهور علاقاتها بدول الخليج إلى فقدان الموارد المالية الضخمة التي كانت تحصل عليها سواء من حكوماتها أو من الجاليات الفلسطينية التي تعمل بها والتي اضطرت أعداد كبيرة منها إلى الرحيل منها في أعقاب الحرب . كما تأثر موقف الأردن لاتخاذه نفس الموقف المؤيد لصدام حسين .

وبعد انتهاء حرب الخليج كان هناك إجماع دولي يؤكد على ضرورة العمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية دعماً للاستقرار في الشرق الأوسط .

وفي هذا السياق جاء خطاب عمار ياسر (1) مبينا دوافعه إلى اللجوء إلى تسوية سلمية مع إسرائيل قال عرفات : " في الأعوام الثمانية والعشرين المجيدة من عمر الثورة ، خضنا معارك كثيرة على كافة المستويات ، وفي مختلف المجالات والجهات ، كم من المعارك الطاحنة التي خاضتها الثورة وعلى جميع الجهات ، وكم من حصار بعد حصار ، وكم من مؤامرة بعد المؤامرة ، ومن غارات إلى غارات أشد وحشية ،ومن عملية اغتيال دنيئة ، إلى المجازر التي ستظل وصمة عار في جبين " إسرائيل " إلى الأبد لكن الراية الفلسطينية لم تسقط ، وجعلت من مجازر هذه المحن والصعاب من جيل الثورة جيلا حاسما ومصمما على النصر .

(1) ألقي هذا الخطاب في الذكرى الثامنة والعشرين لانطلاقه الثورة الفلسطينية ١/ ١ / ١٩٩٣ .

لقد عصفت المتغيرات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية المذهلة بعالمنا المعاصر ، وما كان بالأمس حقيقة راسخة صار اليوم من حديث الماضي السحيق ، وامتدت هذه المتغيرات إلى منطقتنا في الشرق الأوسط ، فأصابته الأولى في أزمة وحرب الخليج بضربة كبيرة أصابت الأمة العربية ، فضربت التضامن العربي ، وشلت الموقف العربي من حول فلسطين ، وأضاعت بالتالي فرصة تاريخية ، لتوظيف هذه المتغيرات العالمية للمصلحة القومية الفلسطينية .

ثم جاءت الموجة الثانية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسيطرة القطب الواحد الأمريكي على مقدرات السياسة الدولية ، وفي هذا الوضع الدولي الجديد ، هناك أخطار حقيقة وواقعية كبيرة تهدد الأمة العربية – شعوبا ودولا – لإبقاء أمتنا في دوامة الصراع الجديد للنظام الدولي الجديد ، فإما أن نكون أو لا نكون خاصة وإن " إسرائيل " والصهيونية العالمية وحلفاءها يقفان بالمرصاد لكل توجه عربي جدي لبناء مصيرنا القومي في ظل المعطيات الدولية الجديد .

أريد أيها الأخوة أن يكون واضحا لنا جميعا أن المسافة شاسعة بيننا وبين العدو على طاولة المفاوضات ، كما هي على أرض الصراع والمعركة .

لقد دخلنا المفاوضات في ظروف عربية ودولية شديدة التعقيد ، وفي ظل شروط مجحفة ، وكانت تستهدف تعطيل المشاركة الفلسطينية ، ولكننا بالثقة بالشعب وبالنفس وبهذه المشاركة الشجاعة ، قفزنا فوق الشروط المجحفة ، التي فرضها العدو الإسرائيلي ، وقد اتسعت دوائر التأييد العالمي للحق الفلسطيني ، وجاءت الانتخابات الإسرائيلية لتأتي بحكومة رابين التي أعطتها الإدارة الأمريكية ضمانات القروض العشرة بلايين دولار ، وضمانات التفوق العسكري بجانب الاستمرار في سياسة القبضة الحديدية والطرد والعقوبات الجماعية والجرائم المستمرة ضد مقدساتنا

الإسلامية والمسيحية ، وكذلك الاستمرار في مصادرات الأراضي وبناء المستوطنات لتوطين اليهود الجدد على أرضنا .

كما أن سياسة ازدواجية المعايير ، والكيل بمكيالين التي تتحكم بالموقف الأمريكي تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي عطلت حتى الآن أية فرصة لإرغام العدو الإسرائيلي على الالتزام بقرارات الشرعية الدولية ، والعمل على سحب قواته المعتدية من الأراضي الفلسطينية والعربية تنفيذا لهذه القرارات الدولية ، والتي على أساسها تمت الدعوة لمؤتمر مدريد للسلام ومن أجل تطبيقها تدور المفاوضات في واشنطن .

إن وفدنا الفلسطيني – وفد منظمة التحرير الفلسطينية –وانطلاقا من ثوابتنا الوطنية ، التي أقرتها مجالسنا الوطنية والمركزية ، ربط المرونة الفلسطينية ربطا محكما ، لا تنفصم عراه ، بالثوابت الوطنية ، فرفض مقولات العدو و وأطروحاته ، لقد تمسك وفدنا بثوابتنا الوطنية وبقرارات الشرعية الدولية وخاصة قراري مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، باعتبارهما مرجعي عملية السلام منذ بدئها وحتى نهايتها وبما يعني الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي العربية والفلسطينية بما فيها القدس الشريف ، ومبدأ الأرض مقابل السلام ، والحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقنا في العودة ، وتقرير المصير ، وإقامة دولتنا المستقلة وعاصمتها القدس الشريف ، وصولا إلى الكونفدرالية الفلسطينية الأردنية ، طبقا للخيار الطوعي والحر للشعبين الشقيقين .(1)

من الانتفاضة إلى التسوية السلمية

في مطلع التسعينات من القرن الماضي أيقنت منظمة التحرير الفلسطينية – بسبب التغيرات الإقليمية والدولية السالف ذكرها – أن عليها أن تعدل من مسارها وتستبدل

(1) وثائق فلسطينية (٦) مكتب الإعلام والعلاقات الخارجية بالقاهرة .

بالكفاح المسلح تسوية سلمية لذا اتخذت من العصيان المدني (أطفال الحجارة) وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية .

وكان مؤتمر مدريد الذي أكد فيه الوفد الفلسطيني تمسكه بما أصدره المجلس الوطني من قرارات في اجتماعه في الجزائر في ديسمبر ١٩٩١ قبيل انعقاد مؤتمر مدريد . وقد تضمنت قرارات المجلس تحديد أهداف منظمة التحرير الفلسطينية في عملية السلام فيما يلي :

أولا : تأمين حق تقرير الشعب الفلسطيني بما يتضمن حقه في الحرية الاستقلال الوطني .

ثانيا : الانسحاب الإسرائيلي التام من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس .

ثالثا : حل قضية اللاجئين الفلسطينيين وفقا لقرارات الأمم المتحدة وخاصة قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ .

رابعا : أن تشمل أية ترتيبات انتقالية حق الشعب الفلسطيني في السيادة على الأرض والمياه والمصادر الطبيعية وكافة الشئون السياسية والاقتصادية .

خامسا : توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني تمهيدا لممارسة حق تقرير المصير .

سادسا : توفير الضمانات الكاملة للعمل على إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة(1)

وكان الأساس الذي دخلت به حكومة شامير الإسرائيلية مؤتمر مدريد للسلام هو المطالبة بالسلام لإسرائيل دون التخلي عن الأرض العربية المحتلة مقابل السلام

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٢٢٨

للعرب .. والسلام فقط أي أن العرب يمكنهم إذا تخلوا عن الأرض السليبة أن ينضموا عدم الاعتداء عليهم من قبل الدولة اليهودية . [1]

مؤتمر مدريد للسلام

ضم مؤتمر مدريد للسلام الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، والرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير، ووزراء خارجية الأردن وسوريا ولبنان ومصر، بالإضافة لوفد فلسطيني .

انتهى مهرجان حفل افتتاح مؤتمر مدريد العالمي في الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٩١ ليعقبه مباشرة ونفس العاصمة الأسبانية الجولة الأولى من المباحثات الثنائية بين إسرائيل والأطراف العربية المعنية (الوفد الأردني الفلسطيني المشترك – الوفد السوري – الوفد اللبناني) وغلب على المحادثات في جولتيها الأولى والثانية الطابع الإجرائي وهو أمر طبيعي إلى حد كبير بالنسبة لبداية سلسلة من الجولات في قضية صعبة معقدة مثل القضية التي ستتناولها تلك المحادثات . ولعل أهم ما أثير في الجولة الثانية بصفة خاصة هو ما أبداه الجانب الفلسطيني من إصرار على أن يستقل بمسار ثنائي منفرد مع إسرائيل أسوة بباقي المسارات العربية الأخرى (سوريا – لبنان – الأردن) .

واضطرت إسرائيل لقبول ذلك في الجولة الثالثة (١٤ يناير ١٩٩٢) وهو في واقع الأمر قبول بوجود الشخصية والكيان الفلسطيني واستبعاد لفكرة أن الأردن هو فلسطين كما كانت إسرائيل تروج لعشرات السنين [2]

وبدأت الجولة السادسة من مباحثات السلام في أغسطس ١٩٩٢ والأولى بعد سقوط حكومة شامير (حكمة الليكود اليمينية المتطرفة) وتشكيل حكومة جديدة من

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ٦٣

([2]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ص ٧٣

حزب العمل برئاسة اسحق رابين وكانت كل الشواهد التي تم رصدها على امتداد الأشهر القليلة السابقة توحي بأن هناك جديدا تستعد له حكومة حزب العمل برئاسة رابين .

لكن الذي أعاق المفاوضات هو رابين بشكوكه المتزايدة وتردده في اتخاذ القرار والذي كان مازال أسيرا للعديد من العُقد اليهودية القديمة كتهديد الوجود الصهيوني ذاته بالتدمير .

ومع تباطؤ محادثات السلام في التوصل إلى تقدم ملموس ازداد اللجوء إلى العنف من جانب الفلسطيني في الأراضي المحتلة قابله على الجانب الآخر الإسرائيلي عنف متبادل ، وكانت منظمة " حماس الفلسطينية " التي ظهرت للوجود بتأييد من إيران لتنافس منظمة التحرير الفلسطينية التي تعد المثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على رأس القوى الوطنية المناهضة لعملية السلام وبمناسبة مرور خمس سنوات على الانتفاضة الفلسطينية قامت حركة " حماس " باختطاف جندي إسرائيلي وطالبت السلطات الإسرائيلية بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين وبذلك تكون إسرائيل قد تجرعت من نفس الكأس الذي أعدته بنفسها عندما شجعت حركة حماس في بدايتها (1)

لم تتمكن الجولات التفاوضية العشر بين الوفدين : الفلسطيني والإسرائيلي والتي امتدت من نوفمبر ١٩٩١ إلى يوليو ١٩٩٣من الوصول إلي إنجازات مهمة، لكنها افتتحت تفاوضا بين الجانب الإسرائيلي والعربي وهذا أكبر ما حققه المؤتمر مدريد.

اتفاقية أوسلو

يعد اتفاق أوسلو منعطفا مهما في مسار القضية الفلسطينية، فقد أنهي النزاع المسلح بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل لفترة من الوقت علي أمل التوصل

(1) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ص ٧٣

إلي اتفاق دائم لإقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وغزة وكانت نتيجة هذه السياسة أن وقَّع عرفات وإسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي في الثالث عشر من سبتمبر من عام ١٩٩٣ على "إعلان مبادئ"، هو عبارة عن اتفاق سمح للفلسطينيين بممارسة الحكم الذاتي في قطاع غزة ومدينة أريحا بالضفة الغربية مقابل اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل . وكان قد سبق هذا الاتفاق محادثات سرية تمّت بواسطة نرويجية .

نص إعلان المبادئ (اتفاقية أوسلو)

اشتملت ديباجة الاتفاقية على الآتي " إن حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية قد وافقتا على أنه قد حان الوقت لوضع حد لعقود المواجهة والنزاع ، وتبادل الاعتراف بحقوقهما الشرعية والسياسية ، ولتكافحا للعيش في سلام وتعايش وبكرامة وأمن متبادل ولتحققا تسوية سلمية عادلة دائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها ، وعليه فإن الجانبين قد اتفقا على المبادئ التالية " دونك أهم المبادئ التي اتفق عليها الطرفان : حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية .

المادة رقم (١)- هدف المفاوضات :

إن هدف المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية من خلال عملية سلام الشرق الأوسط الجارية هي من بين أشياء أخرى لتأسيس سلطة حكومية ذاتية فلسطينية انتقالية ، المجلس المنتخب للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لمرحلة انتقالية لا تزيد على خمس سنوات تقود إلى تسوية دائمة على أساس قراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

المادة رقم (٣) – الانتخابات :

أ– لتمكين الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم أنفسهم حسب مبادئ الديمقراطية فإن انتخابات مباشرة ، حرة ، وسياسية عامة ، سوف يتم إجراؤها لانتخابات " المجلس " تحت إشراف متفق عليه ورقابة دولية بينما سيتولى البوليس الفلسطيني تأمين الأمن العام .

ب– تتم الانتخابات في مدة لا تزيد على تسعة شهور من تاريخ التصديق على إعلان المبادئ هذا .

المادة رقم (٤) – الولاية (نطاق السلطة) :

إن نطاق سلطة المجلس سيغطي أرض الضفة الغربية وقطاع غزة ، ما عدا القضايا التي سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع النهائي . ينظر الجانبان إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كوحدة إقليمية واحدة ، وأن وحدة وسلامة أراضيهما يجب حمايتهما خلال المرحلة الانتقالية .

المادة رقم (٥) المرحلة الانتقالية ومفاوضات الوضع النهائي :

١– سوف تبدأ السنوات الخمس للمرحلة الانتقالية بعد الانسحاب من قطاع غزة وأريحا .

٢– ستبدأ مفاوضات الوضع النهائي بين الحكومة الإسرائيلية وممثلي الشعب الفلسطيني في أسرع وقت ممكن ، ولكن بما لا يتجاوز بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية بين الحكومة الإسرائيلية وممثلي الشعب الفلسطيني .

٣– من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تشمل القضايا المتبقية بما فيها : القدس ، واللاجئون ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين ، وأية قضايا أخرى ذات فوائد مشتركة .

٤- اتفق الطرفان على أن حصيلة مفاوضات الوضع النهائي يجب ألا تُفَرَغ من مضمونها بالاتفاق الذي يتم التوصل إليه للمرحلة الانتقالية .

المادة رقم (٦) – تحويل السلطات والمسئوليات التمهيدي :

١- عند التصديق على إعلان المبادئ هذا ، والانسحاب من غزة ومنطقة أريحا فسيبدأ تحويل سلطات من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية للفلسطينيين المفوضين لهذه المهمات ، كما هو مبين هنا ، سيكون تحويل السلطات هذا ذا طبيعة تمهيدية إلى حين تنصيب المجلس.

٢- حالا ، وبعد التصديق على إعلان المبادئ هذا ، والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ولأغراض تشجيع وترويج التنمية الاقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، فإن السلطات التالية سيتم تحويلها للفلسطينيين (التعليم والثقافة ، الصحة ، الشئون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة ، والسياحة) سيبدأ الجانب الفلسطيني في بناء قوة البوليس الفلسطيني كما يتفق عليه ، إلى جانب تنصيب المجلس فإنه يمكن للطرفين أن يتفاوضا على تحويل سلطات ومسئوليات أخرى كما يتفق عليه .

بعد الاحتفال بتشكيل المجلس فإن الإدارة المدنية سيتم حلها والحكومة العسكرية سيتم سحبها .

المادة رقم (٨) – الأمن والأمن العام :

لضمان الأمن والأمن الداخلي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة فإن المجلس سيشكل بوليسا قويا بينما ستستمر إسرائيل في تحمل مسئوليات الدفاع ضد التهديدات الخارجية ، وكذلك جميع مسئوليات الأمن للإسرائيليين لأغراض حماية أمنها الداخلي والعام .

المادة رقم (١٣) – إعادة توضيع القوات الإسرائيلية :

١– بعد التصديق على إعلان المبادئ هذا ، وبما لا يتجاوز عشية انتخابات المجلس ، ستقوم إسرائيل بإعادة لتوضيع قواتها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إضافة إلى انسحاب القوات الإسرائيلية المبينة في المادة ١٤ .

المادة رقم (١٤) – الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

ستنسحب إسرائيل من قطاع غزة ومنطقة أريحا كما هو مبين في البروتوكول المرفق رقم ٢ .

المادة رقم (١٥) – القرارات والخلافات .

١– الخلافات الناشئة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ هذا ، أو أية اتفاقيات لاحقة متعلقة بالمرحلة الانتقالية سيتم حلها بالمفاوضات من خلال لجنة الارتباط المشتركة التي سيتم تشكيلها .

٢– الخلافات التي لا يمكن حلها بالمفاوضات يمكن حلها من خلال آلية للتسويات يتم الاتفاق عليها بين الطرفين .

المادة رقم (١٧)

١– إن إعلان المبادئ هذا سيدخل حيز التنفيذ بعد شهر من تاريخ التوقيع عليه .

٢– جميع البرتوكولات الملحقة بإعلان المبادئ هذا ومحضر الاجتماع المتفق عليه ذو العلاقة ستعتبر جزءا لا يتجزأ منه .

عمل في واشنطون D.C يوم الاثنين تاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٩٣ .

عن حكومة إسرائيل	عن الوفد الفلسطيني
شيمون بيريز	محمود عباس
الشاهدان	
الولايات المتحدة الأمريكية	الفيدرالية الروسية
وارين كريستوفر	أندريه كوزريف

المقاومة الفلسطينية تعود لفلسطين

في الرابع من مايو عام ١٩٩٤ منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل تتوصلان إلى اتفاق في القاهرة بشأن التنفيذ المبدئي لاتفاق أوسلو الذي يشمل انسحاب القوات الإسرائيلية من نحو ٦٠ % من قطاع غزة (لم يشمل الاتفاق المستوطنات اليهودية وضواحيها) وبلدة أريحا في الضفة الغربية .

وفي ١١ يوليو عام ١٩٩٤ حقق عرفات انتصارا بعودته إلى غزة لتولي منصبه الجديد كرئيس سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية الجديدة بعد نحو ١٢ عاما من إدارة شئون منظمة التحرير الفلسطينية من تونس . واستقبل عرفات استقبالا جماهيريا رائعا فقد تعلقت به آمال الجماهير في أن ينقذها من الاحتلال العسكري الذي كتم أنفاسهم طوال سبعة وعشرين عاما تدهورت خلالها كافة المرافق والخدمات وتردت فيها الأوضاع الاقتصادية . [1] وفي نفس السنة فاز عرفات بجائزة نوبل للسلام بالمشاركة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين وشيمون بيريز، رئيس حزب العمل الإسرائيلي في ذلك الوقت .

في الرابع من نوفمبر عام ١٩٩٥ اغتيل رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين على يد ايجال عامير الطالب اليهودي المتشدد المعارض للانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية المحتلة. وشمعون بيريس يصبح رئيسا للوزراء . وهو ما شكّل انتكاسة لعملية السلام. وواجه عرفات تحدياً ضخماً تمثل في السعي للحفاظ على التزام الفلسطينيين والإسرائيليين بما أطلق عليه "سلام الشجعان".

اتفاقية طابا (أوسلو ٢)

وفي الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٩٥ وقع عرفات ورابين اتفاق طابا (المعروف أيضا باسم أوسلو ٢) في واشنطن لزيادة المناطق التي تخضع للحكم الذاتي

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام " دار الشروق ص ٣١٤

الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة والسماح للفلسطينيين بإجراء انتخابات. والتي ركزت على انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، وتكوين الشرطة الفلسطينية . وبموجب هذه الاتفاقية، ستنقل إسرائيل صلاحيات ومسئوليات من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى المجلس،وسوف تستمر إسرائيل في ممارسة صلاحياتها ومسئولياتها، في المجالات التي لم يتم نقلها .

كما ستجرى انتخابات سياسية عامة مباشرة وحرة للمجلس ورئيس السلطة التنفيذية، وفقاً للأحكام المنصوص عليها في بروتوكول الانتخابات . وجاء في الاتفاقية، أن هذه الانتخابات ستفرز مجلسا تشريعيا يتكون من ٨٢ ممثلا ورئيس السلطة تنفيذية، وسيتم انتخابهم مباشرة . (أجريت في ٢٠ يناير عام ١٩٩٦)

كما نص الاتفاق على إعادة انتشار القوات العسكرية الإسرائيلية لمواقع عسكرية محددة، بعد تنصيب المجلس، على أن يتم تنفيذ ذلك تدريجياً، بتزامن مع تولي الشرطة الفلسطينية مسؤوليات النظام العام والأمن الداخلي .

حساب الأرباح والخسائر

لقد قام مؤتمر مدريد علي مبدأ أن تتخلي إسرائيل عن الأراضي المحتلة، مقابل السلام مع جيرانها. وأدي المؤتمر إلي معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن عام ١٩٩٤، وإلي سلسلة محادثات رفيعة المستوي بين إسرائيل وسوريا كادت تسفر عن التوصل لاتفاق سلام عام ٢٠٠٠، إلا أن هذه المحادثات توقفت منذ ذلك الحين؛ بسبب رفض تل أبيب الانسحاب الكامل من الجولان . ولم يؤد المسار الفلسطيني للمؤتمر إلا لتأسيس السلطة الفلسطينية مع بقاء الاحتلال الإسرائيلي في معظم الأراضي الفلسطينية .

المكاسب

ويمكن رصد عدة مكاسب حققها الفلسطينيون من خلال التسوية السلمية من مؤتمر مدريد إلى اتفاقية طابا :

١- اعتراف إسرائيل بالشعب الفلسطيني وبأن له حقوقا وطنية .

٢- حسم إعلان المبادئ عدد من المسائل الخلافية كارتباط المرحلة الانتقالية بالمرحلة النهائية لتسوية القضية الفلسطينية على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٣- إقامة سلطة الحكم الذاتي من خلال انتخابات سياسية يشارك فيها فلسطينيو القدس الشرقية .

٤- امتداد الولاية الإقليمية لسلطة الحكم الذاتي إلى كل الإقليم الفلسطيني دون تجزئة أو تقسيم .

٥- تحديد موضوعات مفاوضات الوضع النهائي للضفة والقطاع دون استثناء القدس والمستوطنات واللاجئين .

٦- الإقرار بسلطة التشريع ، وبانسحاب القوات من قطاع غزة وأريحا ، وإعادة انتشارها في بقية أراضي الضفة الغربية .

٧- سرعة تنفيذ الحكم الذاتي بالتعجيل بنقل السلطة في قطاع غزة ومنطقة أريحا.

٨- النقل المبكر لعدد من السلطات في كل الإقليم الفلسطيني ، ووضع آليات التنسيق والتعاون والمتابعة وتسوية المنازعات .

الخسائر

وفي حساب الخسائر يمكن رصد عدة نقاط سلبية منها :

١- عدم الاتفاق على وقف الاستيطان الإسرائيلي خلال الفترة الانتقالية .

٢- تأجيل البت في أهم المسائل إلى مفاوضات الوضع النهائي مع وجود فجوة واسعة بين موقف الطرفين بشأنها وخاصة القدس ، والمستوطنات ، واللاجئين .

٣- عدم النص على أن يكون الانسحاب الإسرائيلي ضمن موضوعات التفاوض.

٤- القيود الموضوعة على ممارسة الفلسطينيين للسلطة التشريعية .

٥- إرجاء عدد كبير من المسائل للمفاوضات التالية .

٦- ضعف آليات التنسيق والتعاون وما قد يؤدي إليه ذلك من سيطرة إسرائيل على المرافق الحيوية ، ومنها المياه والمواصلات والنقل والاتصالات اللاسلكية وغيرها.

وعلى أية حال ، فلاشك أن المكسب الرئيسي للشعب الفلسطيني من إعلان المبادئ هو ما جاء مكملا لهذا الإعلان من الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير ، والذي أتاح للمنظمة موضع قدم تمارس منه السلطة داخل الأراضي الفلسطينية . (١)

صدى اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين :

جاءت ردود الفعل الفلسطينية متباينة أشد التباين ، ما بين فلسطيني الداخل عموما ، وما بين فلسطيني وحركات وفصائل المقاومة في الخارج .. فقد استقبل غالبية الشعب الفلسطيني في غزة والقطاع نبأ الاتفاقية بالاحتفالات الشعبية والرقص في الشوارع وإطلاق الأعيرة النارية ، ورفع الأعلام الفلسطينية فوق الديار وترديد الأهازيج ابتهاجا بتلك المناسبة ، لقد تصوروا أنه بعد رحيل المحتل وتولي الفلسطينيين إدارة شئونهم بأنفسهم فإن رءوس الأموال ستتدفق عليهم من أثرياء الفلسطينيين الذين يعيشون في المهجر لاستثمارها في الوطن الأم ، وذلك إضافة إلى دفعات أخرى من الأموال من المنظمات والدول المانحة بما ينهض باقتصاديات البلاد المحررة ويعود

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام " دار الشروق ص ٣٠٠ ، ٣٠١

إليهم بالرفاهية ، ويخرجهم من قاع الفقر والإذلال النفسي ،ويخلصهم من قرارات سلطة الاحتلال بإبعادهم عن أراضيهم وديارهم وتدمير المنازل وسياسة التجويع والعقاب الجماعي بإغلاق الضفة والقطاع من حين لآخر .

كانت الآمال تصب في بشرى انتهاء ستة وعشرين عاما من الاحتلال بكل ما يمثله لهم من أيام مليئة بالعذاب والسواد الحالك . ينتقلون فيها من مجزرة إلى مذبحة ومن سجن لآخر مهانين مطاردين محتقرين من الجميع يواجهون عمليات إبادة منظمة لهم ، ولبنيتهم الأساسية ، فلا قضاء يدافع عنهم من بطش وغطرسة المحتل ، ولا صناعة أو زراعة تسد رمقهم . وفي هذا المجال قد يكون مخيم الشاطئ بقطاع غزة هو خير نموذج لبؤس الفلسطيني المغبون المقهور على أمره .. كتلة من العشش الصفيح لا تحمي من برد ولا تقي من حرارة الشمس يقطنه أكثر من ستين ألف فلسطيني يعيشون عيشة بعيدة كل البعد عن الآدمية في أدنى صورها . كان هؤلاء وغيرهم يتطلعون إلى حياة أفضل في ظل إدارة وسلطة وطنية تشعر بمشاعرهم وتعمل لصالحهم .

كانت هذه ردود الفعل لفلسطينيي الداخل في غالبيتهم العظمى ، أما بالنسبة لفلسطينيي الخارج ، وفصائل المقاومة فقد كان الأمر يختلف اختلافا جوهريا فقد قابلت اتفاقية أوسلو بالرفض بدءا من التنديد والشجب وانتهاء بالاتهام بالعمالة والخيانة للقضية الفلسطينية ، وعلى رأس هؤلاء كانت الفصائل العشر التي كانت تتخذ من العاصمة السورية دمشق مركزا لقياداتها ومنطلقا لنشاطاتها ، وهذه الفصائل هي (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، القيادة العامة، فتح الانتفاضة ، فتح المجلس الثوري ، جبهة النضال الفلسطيني ، جبهة التحرير الفلسطينية ، جبهة تحرير الفلسطينية ، الصاعقة ، الجهاد الإسلامي) وذلك

إضافة بطبيعة الحال إلى حركة حماس الإسلامية ذات النفوذ الواسع بين أبناء فلسطين ، والتي تقوم من خلال أجنحتها السياسية والاجتماعية بنشاطات إنسانية واجتماعية وثقافية داخل قطاع غزة والضفة الغربية .

مبررات جبهة الرفض الفلسطينية لاتفاقية أوسلو :

اعتبرت فصائل جبهة الرفض أن الاتفاقية ليست سوى خيانة للقضية الفلسطينية ، وأنها تهدف إلى تصفيتها وإلى إسقاط حقوق الشعب الفلسطيني ، ودعت إلى إسقاطها مهما كان الثمن ومواصلة الكفاح المسلح وتصعيد الانتفاضة ضد المحتل الإسرائيلي .

ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي استندت إليها جبهة الرفض في الآتي :

١- لم يكن من حق عرفات هو وقلة معدودة من رفاقه أن ينفردوا باتخاذ القرار دون تشاور أو تنسيق مع باقي الأطراف العربية ، الأمر الذي أضعف موقف المفاوض الفلسطيني .

٢- الاتفاقية بهذه الصورة تعد قبولا واعترافا رسميا ونهائيا بإسرائيل وشرعيتها. في مقابل حزمة من الوعود الإسرائيلية يمكن أن ترجع عنها إذا أرادت ذلك .

٣- معظم القضايا الرئيسية لم يتم بحثها أو مناقشتها ، وإنما رُحِّلت للمرحلة النهائية من المفاوضات بعد ثلاث سنوات ، والله أعلم ماذا يمكن أن يحدث خلالها ؟

٤- الاتفاقية تتضمن تعهد فلسطيني بوقف الكفاح المسلح والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال قبل أن تتحرر الأراضي العربية المحتلة ، الأمر الذي يجعل السلطة الفلسطينية حارسا أمنيا لسلطة الاحتلال .

٥- الاتفاقية لم تَرْقَ إلى الطموحات والآمال العربية والفلسطينية ، وأنها جعلت من فلسطين كيانا ممسوخا منقوص السيادة مرتبطا بإسرائيل أمنيا وسياسيا واقتصاديا .

٦- الاتفاقية تركت لإسرائيل السيطرة الفعلية الكاملة على المعابر والجسور التي تربط الأرض الفلسطينية بإسرائيل وكل من مصر والأردن . وتلك السيطرة تعني إغلاق الحدود الفلسطينية مع العالم الخارجي ومع الأسواق العربية استيرادا وتصديرا ، وحصار الضفة والقطاع متى شاءت إسرائيل ذلك .

٧- الاتفاقية لم تنص على وقف الاستيطان الإسرائيلي خلال الفترة الانتقالية . وهو ما يسمح لإسرائيل خلال تلك الفترة من إحداث تغييرات كبيرة كإقامة أحياء إسرائيلية جديدة تخلق واقعا جديدا يصعب من مهمة المفاوضات التالية .

٨- سيطرة إسرائيل على المياه مما يخنق الزراعة الفلسطينية لقلة وندرة ما تحصل عليه من نصيب من مياهها هي وليست المياه الإسرائيلية .

مواقف الدول العربية من الاتفاقية :

كان **لمصر** دور الصدارة والريادة في تأييد الاتفاق والترحيب به باعتبار أن الطريق الصعب بدأ تجاوزه بتوقيع اتفاق غزة / أريحا .. كما قامت بدورها في ترطيب الأجواء العربية الساخنة في أعقاب العلم بالاتفاقية وتهدئة الخواطر وإجراء اتصالات على أعلى المستويات لتقريب وجهات النظر بين الدول العربية الرافضة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

بالنسبة **للأردن** فقد وقع عليها نبأ توصل منظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق مع إسرائيل وقع الصاعقة في بداية الأمر لتجاهلها في كل مراحل المحادثات السرية على الرغم من أن معظم ما تضمنه ذلك الاتفاق يمس الأردن بشكل أو بآخر للروابط الوثيقة التي تربط الشعبين الفلسطيني والأردني ناهيك عن الالتزامات التي سيتحملها الأردن نتيجة لذلك الاتفاق الذي لم تشارك فيه .

كان ذلك موقف الأردن المبدئي إلا أنه بعد استيعاب صدمة المفاجأة وبعد اتصالات متعددة مع الملك حسين قامت بها مصر ودول أخرى عَدَلَت المملكة عن موقفها السابق وأعلن الملك حسين يوم ٤ سبتمبر ١٩٩٣ دعمه الكامل للاتفاق ، ووصف قرار المنظمة بقبول الاتفاق بالشجاعة والمسئولية تجاه الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .

أما **دول مجلس التعاون الخليجي** فقد رحبت بالاتفاق الذي توصلت عليه منظمة التحرير الفلسطينية باعتباره خطوة مهمة في سبيل التوصل للحل الدائم العادل الشامل كما أعربت عن استعدادها لتقديم مساعدات مالية لتنمية ما تم تحريره من الوطن الفلسطيني .

الموقف الدولي من الاتفاقية

إذا تحدثنا عن الموقف الدولي فإن الولايات المتحدة الأمريكية تأتي في المقدمة إذ بادرت بإعلان تأييدها الكامل للاتفاق ، وعملت على طمأنة الدول العربية الأخرى من أن الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي لن يؤثر بشكل أو آخر على مسار المفاوضات لباقي الأطراف ، كما أعلنت الحكومة وبعض المؤسسات الأمريكية عن الاستعداد للمساهمة الجادة في عمليات التنمية في كل من قطاع غزة وأريحا .. نفس التأييد والترحيب لَقِيَه إعلان المبادئ من كل من الدول الأوربية بلا استثناء مع وعد بتقديم الدعم المالي للنهوض بالأراضي التي سيتسلمها الفلسطينيون .

الموقف السوري من اتفاقية أوسلو

بدا النظام السوري في بداية الأمر متحفظا ، لا هو مؤيد ولا هو معارض للاتفاق، وإن أشارت أجهزة إعلامه الرسمية إلى استياء سوريا من قيام منظمة التحرير الفلسطينية بالتوصل إلى حل منفرد مع إسرائيل دون تنسيق مع باقي الأطراف العربية الأخرى ، إلا أن ذلك الموقف أخذ في التغير بعد اتصالات قام بها الرئيس حسني

مبارك والملك حسين وياسر عرفات مع الرئيس حافظ الأسد ، إذ بدأت أجهزة الإعلام السورية التي تفضل سوريا الإفصاح عن موقفها من خلالها إلى الإعراب عن تأييد كل ما يراه الشعب الفلسطيني محققا لآماله وأهدافه ، ومن أن سوريا لن تكون فلسطينية أكثر من الفلسطينيين ، وإن بقيت بعد ذلك تستضيف فصائل المقاومة الفلسطينية المعارضة على أراضيها تمارس نشاطها السياسي والإعلامي كأوراق ضغط على إسرائيل لدفعها إلى إعادة الجولان !! ()

لقد ضاعفت اتفاقية أوسلو من أزمة النظام السوري فقد أضعفت موقفه التفاوضي حول الجولان المحتل ، وغلت يده عن مشاغبة إسرائيل عن طريق المقاومة الفلسطينية لإجبارها على إعادة الجولان له ، كذا فقد صرفت الاتفاقية الأنظار الإقليمية والدولية عن التحرك السريع والجدي لعلاج قضية الجولان بعدما انتهي من علاج المهمة الأكبر والمشكلة الأعقد القضية الفلسطينية .

لهذه الأسباب وجد النظام السوري نفسه في مشكلة حقيقية فلا هو يستطيع أن يرفض اتفاقا رحب به الفلسطينيون أصحاب المشكلة الحقيقيين حتى لا يتهم بأنه ملكي أكثر من الملك ، ولا يستطيع أن يعادي الدول العربية والغربية التي أيدت هذا الاتفاق حتى لا يُعْزَل سياسيا عن العالم ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يقبل الاتفاق الذي يضر بمصلحته ، ولا يستطيع أن يشن حربا لتحرير الجولان وهو الذي عجز عن أن يطلق رصاصة واحدة تجاه إسرائيل طيلة عشرين عاما ، ولكي يتخلص من هذا المأزق فإنه أوحى إلى بعض صحفه بتأييد الاتفاق ، وطمأن حكام الدول المؤيدة للاتفاقية بأنه ليس ضدها ،وفي ذات الوقت حرَّض المقاومة الفلسطينية التابعة له – حماس والفصائل العشرة – أن تقاوم هذا الاتفاق بكل وسيلة وأن تسعى لإفشاله

([1]) لمزيد من التفاصيل حول العقبات التي واجهتها المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية راجع الفصل التاسع " صدى اتفاقية أوسلو " من كتاب السفير صلاح عابدين " حرب السلام " .

بالإقدام على عمليات فدائية في فلسطين تستهدف الإسرائيليين : عسكريين ومدنيين ؛ حتى تضع السلطة الفلسطينية في مأزق فهي لا تستطيع أن تستنكر هذه العمليات حتى لا تتهم بالعمالة لإسرائيل ، كما لا تستطيع دفع اتهام إسرائيل لها بالضلوع في هذه العمليات. مما يترتب عليه عرقلة المفاوضات بل تراجع المكاسب التي حققها الاتفاق . وهذا ما تم بالضبط فيما بعد فقد شنت المقاومة الفلسطينية هجمات عنيفة على إسرائيل توقفت على أثرها مسيرة السلام .

فسوريا العاجزة عن مواجهة إسرائيل تتخذ كلا من المقاومة الفلسطينية واللبنانية كوكيلين عنها في صراعها مع إسرائيل وهي لا تتوانى في التضحية بمستقبل هذين البلدين المنكوبين في سبيل الوصول إلى تسوية مرضية لها مع إسرائيل حول الجولان ، وإن كان الخطاب المعلن للنظام السوري هو دعم المقاومة العربية (فلسطينية ولبنانية) للحصول على حقوقهما المشروعة من منطلقات قومية عربية تحمل سوريا لواءها بعدما تخلت عنها مصر بعد جمال عبد الناصر !! (1)

ويوجه إبراهيم نافع عدة أسئلة للنظام السوري في هذا الصدد فيقول :

" هل ستذهبون إلى المؤتمر الدولي في المفاوضات المباشرة مع إسرائيل لاستعادة الجولان دون تفريط في الأرض والسيادة ؟

هل ستعفون الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين من مؤامراتكم المعتادة لإفساد أي جهد مشترك للتقارب بينهم ولاسترداد الأرض المحتلة بالقوات الإسرائيلية ؟

هل ستتوقفون عن ممارسة ألعابكم الشيطانية لشق الجبهة الفلسطينية ، واستقطاب بعض فصائلها للخروج على القيادة الشرعية تحت أية مسميات تستهدف عرقلة جهود الحل العادل ؟

(1) لمزيد من التفاصيل حول علاقة سوريا بكل من المقامة الفلسطينية والقوى اللبنانية راجع " إسرائيل وحزب الله ولبنان " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر .

ثم بعد عشر سنوات رجعتم لبعض أراضي لبنان . ألم يحن الوقت بعد لترفعوا أيديكم عن لبنان الذي تمزق بفضل الوجود السوري المزمن فيه شر ممزق ؟

ألم تقتنعوا بعد بأن وجودكم في لبنان قد أسهم في تعقيد مشكلاته ، وتعميق الفرقة والتجزئة فيه بعد أن سمحتم بإدخال النفوذ الإيراني إليه حتى أصبح أحد مشاكله المتفجرة الآن ؟

ألم يحن الوقت بعد لكي تتركوا للبنانيين أنفسهم حق اتخاذ القرار المستقل في إعادة وحدة أراضيه ، وفي التفاوض من أجل التسوية الشاملة لاستعادة جنوبه المحتل ؟

أم ماذا تريدون بالضبط ؟

وكل ما سبق سوف يحدث يوما ما بالضرورة لأنه حتمية تاريخية لا يمكن تأجيلها إلى الأبد ولأن الصمت العربي عن سياستكم التخريبية لن يطول أكثر مما طال ."(1)

عقبات في مسيرة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية

كانت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بكل المقاييس صعبة وشاقة للجانب الفلسطيني بصفة خاصة ، ومر عرفات ورفاقه فيما بين أوسلو ١ و أوسلو ٢ بفترة عصيبة هي الجحيم ذاته في ظل أجواء معاكسة تدعو إلى اليأس والإحباط نتيجة لوقوع المفاوض الفلسطيني تحت ضغوط متلاحقة من كل جانب ، الأمر الذي ترتب عليه تأخير إنجاز اتفاق طابا أو (أوسلو ٢) لتوسيع الحكم الفلسطيني الذاتي التي استغرقت ما يربو على أربعة عشر أسبوعا من الصعود والهبوط ، ثم قبول الفلسطينيين لاتفاقية تضمنت مواد لم يكونوا ليرضوا عنها أو ليوافقوا عليها في ظل الظروف العادية .

---

(1) إبراهيم نافع " آفاق التسعينات " مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨ ص ٢٠٠

ويمكن إجمال هذه الصعاب التي لاقاها الوفد الفلسطيني فيما يلي :

١- رغبة عناصر المعارضة الفلسطينية سواء الفصائل المعارضة الفلسطينية أو الحركات الإسلامية كحركتي : حماس والجهاد ، في إفشال المفاوضات وإسقاط مسيرة السلام ، وهي التنظيمات الأكثر تنظيما والأعلى صوتا والأكثر تأثيرا في الشعب الفلسطيني . والتي تتلقى جميعا دعمها وتوجيها من سوريا وإيران وترفع شعارات عفا عليها الزمن .

٢- كان المعارضون للتوصل إلى سلام يبذلون أقصى ما في وسعهم لتهديد أو تدمير مسيرة السلام بالقيام بعمليات إرهابية أو مقاومة انتحارية ، ودائما أبدا في الوقت غير المناسب عندما تلوح في الأفق بوادر نجاح في المفاوضات لتبعثر ما تم التوصل غليه من تفاهم ما .

٣- كان الجانب الفلسطيني وهو الأضعف الأكثر تأثيرا بتلك العمليات التي يبدو من توقيتها وأسلوبها وكأنما هناك نوع من التنسيق والتنظيم بين الإرهاب الإسرائيلي والتطرف الفلسطيني بهدف مشترك ألا وهو إسقاط عملية السلام وتدميرها إذ كانت السلطة الفلسطينية هي التي تتحمل عبء كل عملية إذا قام بها فلسطينيون ، حيث تحملها إسرائيل مسئولية وقوعها ، إما إذا قام إسرائيليون متطرفون فإن المعارضة الفلسطينية لا تتوانى عن توجيه سهامها للسلطة الفلسطينية والمفاوض الفلسطيني لقتل عملية السلام التي لم تحقق سلاما في رأيهم .

وفيما يلي نماذج لبعض أحداث العنف التي وقعت خلال عامي ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ :

- في فجر يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤ سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه باروخ

جولدشتاين إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة.

وعلى الفور شرع جولدشتاين في حصد المصلين داخل المسجد. وأسفرت المذبحة عن استشهاد ٦٠ فلسطينياً فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجراح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقَّى على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله.

ومع ذلك فإن تعامل الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين مع ردود الفعل التلقائية الفورية إزاء المذبحة التي تمثلت في المظاهرات الفلسطينية اتسمت باستخدام الرصاص الحي بشكل مكثَّف، وفي غضون أقل من ٢٤ ساعة على المذبحة سقط ٥٣ شهيداً فلسطينياً أيضاً في مناطق متفرقة ومنها الخليل نفسها. ونكاية في الفلسطينيين ، واستفزازا لشعورهم سمحت إسرائيل بتحويل بيت جولدشتاين الذي قتله المصلون إلى متحف ومزار يهودي .

– في ٦ أبريل ١٩٩٤ فجَّر عنصر من حماس نفسه في أوتوبيس إسرائيلي مما أدى إلى مصرع ٨ إسرائيليين ، وبعد أسبوع واحد تم تفجير أوتوبيس آخر بنفس الأسلوب مما أسفر عن مصرع ٥ إسرائيليين .

– في ١٤ أكتوبر ١٩٩٤ تم اختطاف جندي إسرائيلي واغتياله هو وأحد أفراد قوات الكوماندوز الإسرائيلية أثناء محاولة إنقاذه ، إضافة إلى قتل بعض العناصر الفلسطينية التي كانت تحتجز الرهينة المختطفة ، وبعدها بخمسة أيام قام فلسطيني بعملية فدائية لتفجير أوتوبيس بأحد شوارع تل أبيب في أعنف انفجار منذ ١٩٧٨ مما أسفرت عن قتل ٢٢ إسرائيليا .

– في ٤ يناير ١٩٩٥ قامت القوات الإسرائيلية بمهاجمة مركز شرطة فلسطيني مما أدى إلى مصرع ٨ من أفراد الشرطة الفلسطينية .

– في يوم ٢٢ يناير ١٩٩٥ وكرد فعل على مهاجمة مركز الشرطة الفلسطيني قام عنصر من عناصر جماعة الجهاد بوضع عبوة متفجرات تزن ٥ كيلو جرامات بمحطة أوتوبيس بوسط إسرائيل مما أدى إلى مصرع ٢١ جنديا إسرائيليا .

هذا العنف بعض من بحر المشاكل والصعاب والأزمات التي دارت في أجوائها مباحثات اتفاقية توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني بالضفة والقطاع يضاف إلى إرهاب الدولة الإسرائيلية الذي كانت تمارسه بعد كل عملية تقوم بها عناصر المقاومة الفلسطينية ضدها فقد كانت تقوم بإغلاق وحصار الضفة والقطاع ومصادرة الأراضي الفلسطينية ، وعدم الالتزام بتعهداتها ولا بالتواريخ التي حددتها اتفاقية أوسلو متذرعة بعمليات المقاومة الفلسطينية تارة أو بأن التواريخ التي قطعتها على نفسها ليست مقدسة تارة أخرى [1]

إيجابيات اتفاقية أوسلو :

إن الاتفاقية برغم كل ما بها من سلبيات وقصور إلا أنها تعد شهادة ميلاد لدولة فلسطينية واقعية وليست أوهاما أو سرابا ، كما تعد تجاوزا للأفكار والرؤى الإسرائيلية التي عبَّرت عنها رئيسة الوزراء الإسرائيلية الراحلة جولدا مائير في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، ومناحم بيجن عام ١٩٧٧ بأنه لا يوجد شيء اسمه قضية فلسطينية أو شعب فلسطيني أو أرض فلسطين ، وبالتالي فإنه لا توجد أراض محتلة إنما هي أرض محررة ، وما القضية الفلسطينية إلا قضية لاجئين ، وهي قضية إنسانية لا سياسية .

ورغم كل سلبيات اتفاقيات أوسلو إلا أن قيام السلطة الفلسطينية يشكل أول اختراق للعمق الإستراتيجي الإسرائيلي، إذ توجد كتلة بشرية ضخمة (مليونا فلسطيني في

([1]) لمزيد من التفاصيل حول العقبات التي واجهتها المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية راجع الفصل العاشر " عقبات في رحلة المفاوضات " من كتاب السفير صلاح عابدين " حرب السلام " .

الأرض المحتلة بعد عام ١٩٦٧، ومليون في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٤٨) لها مؤسساتها وإرادتها وطموحاتها. وهذا يعني انكماش إسرائيل جغرافيا إلى حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وتقدم منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني لإقامة السلطة الوطنية على الأرض التي تجلو منها قوات الاحتلال الإسرائيلي .

إن ياسر عرفات قد أكد بقبوله لتلك الاتفاقية – التي لم تَرْقَ إلى مستوى الطموحات والآمال الفلسطينية – على أنه مناور ماهر بقدر ما هو مقاتل عنيد ، فأخذ أقصى ما يمكن أن يناله من بين فكي خصم شرس في ظل ظروف صعبة نابعة من موقف لفلسطيني غير مرحب به في كثير من الأوساط العربية نتيجة لموقف المنظمة المتعاطف مع الرئيس السابق صدام حسين في قضية احتلال العراق للكويت .. بالإضافة إلى كون فلسطين ذاتها تعد عضوا ضعيفا في أمة عربية غير متماسكة بعد أن مزقتها حرب الخليج . ناهيك عن تمزق الجبهة الداخلية الفلسطينية بين المؤيدين للاتفاقية ومعارضين لها .

لقد حصل عرفات على ما يمكن أن يناله ولم يتخل في النفس الوقت عن أهداف وأمال شعبه البعيدة ، وإنما أجلها إلى مرحلة مقبلة يكون قد رسَّخ أقدامه خلالها على واقع جديد لابد وأن تخلقه تداعيات وتطورات تنفيذ الاتفاقية التي تضع أقدامه على التراب الفلسطيني .

أما الرافضون للاتفاقية فإما أنهم لا يحسون بآلام الشعب الفلسطيني فهم يعيشون في أرض المهجر في ترف ونعيم أو على الأقل في سلام وأمن ، أو لأنهم يعملون لحساب جهات غير فلسطينية مضحين بالمصلحة الوطنية في سبيل أجندة خارجية (سورية / إيرانية) ، أو لإيمانه بأيديولوجيا مثالية غير واقعية مفادها أن أرض فلسطين

كلها وقف إسلامي والتفريط في أي شبر منه خيانة لله ورسوله . كما أن اليهود أعداء لله ورسله وقتالهم واجب ديني والصلح معهم محرم شرعا .

وعلى الرغم من المكاسب التي حققتها الاتفاقية إلا أن جبهة الرفض بدلا من العمل على ترسيخ هذه المكاسب والتنسيق مع منظمة التحرير للوصول إلى ما يخدم القضايا الوطنية راحت بدعم من قوى خارجية تثير القلاقل وتضع العراقيل في سبيل إتمام الاتفاق .

ففي فبراير/ مارس ١٩٩٦ أقدمت حركة المقاومة الإسلامية حماس على تنفذ سلسلة من الهجمات الفدائية أسفرت عن مقتل ٥٧ إسرائيليا .مما أعطى إسرائيل المبرر لوقف تنفيذ بقية الاتفاق ، وشن حروبا عسكرية ، واقتصادية على الشعب الفلسطيني البائس .

وبحلول عام ألفين توقفت تماماً عملية السلام، واشتعلت انتفاضة الأقصى ودخل الفلسطينيون والإسرائيليون في حلقة دامية من أعمال العنف المتبادلة .

وفي ديسمبر ٢٠٠١، وعقب وقوع سلسلة من الهجمات الفدائية الفلسطينية، قامت الحكومة الإسرائيلية بقيادة آرييل شارون، خصم عرفات القديم واللدود، بفرض حصار عسكري علي عرفات داخل مقره بمدينة رام الله بالضفة الغربية. واتهم شارون عرفات بالمسئولية عن الهجمات الانتحارية .

وأعادت إسرائيل احتلال أغلب مدن وقرى الضفة الغربية، وبعد ضغوط دولية، تعهد شارون بعدم استهداف عرفات أثناء تنفيذ العمليات العسكرية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية التي قالت حكومة شارون إنها تهدف "للقضاء على البنية التحتية للإرهاب"، بينما وصفها الفلسطينيون بأنها "جرائم حرب" و"إرهاب دولة".

لكن التهديدات استمرت من قِبَل بعض المسئولين الإسرائيليين لعرفات بإبعاده وحتى بقتله .

وكان رد فعل عرفات على الحصار الإسرائيلي إعلانه أنه "يتوق للشهادة التي سبقته إليها أعداد كبيرة من أبناء شعبه".

قمة صانعي السلام في شرم الشيخ

شهدت شرم الشيخ العديد من القمم السياسية الهامة والتي يدعو إليها الرئيس مبارك بهدف تحقيق السلام الدائم في منطقة الشرق الأوسط وإنهاء الصراع العربي . الإسرائيلي، خاصة القضية الفلسطينية، فكان من بينها قمة صانعي السلام، والتي عقدت في مارس ١٩٩٦ بمشاركة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون والعديد من قادة الدول العربية والعالمية بهدف إنقاذ مسيرة السلام وقتها ودعم الأمن والاستقرار لكل الأطراف ومواجهة العنف والإرهاب الذي أصبح يمثل خطرا علي مسيرة السلام وأطرافها وانتهي المؤتمر إلي إدانة جميع أعمال " الإرهاب " ودعم الاتفاقات الإسرائيلية . الفلسطينية، ومنع' أعداء السلام' من تدمير فرصه بالمنطقة. كما شهدت شرم الشيخ أيضا مؤتمر تنفيذ اتفاق " واي ريفر " في سبتمبر ١٩٩٩، الذي هدف إلي التوقيع علي مذكرة تفاهم بشأن آليات تنفيذ اتفاق" واي ريفر" 'وأسهمت فيه الجهود المصرية بشكل كبير وتضمن إعادة الانتشار في ١١% من أراضي الضفة الغربية وتسليمها للفلسطينيين علي مرحلتين وعدم اتخاذ إجراءات أحادية الجانب يمكن أن تغير من وضع الضفة .ومن أجل إنهاء العنف وإعادة الأوضاع إلي ما كانت عليه قبل انتفاضة الأقصى استضافت شرم الشيخ في أكتوبر ٢٠٠٠ قمة جمعت بين الرئيس مبارك والرئيس الأمريكي السابق كلينتون والملك عبد الله والرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق باراك والأمين العام للأمم المتحدة السابق كوفي أنان وخافيير سولانا ممثلا للاتحاد الأوروبي، ودعت

القمة إلي بذل الجهود لمنع انتشار أعمال العنف وتهيئة المناخ لإعادة المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي علي أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ومن القمم المهمة التي شهدتها شرم الشيخ أيضا القمة العربية . الأمريكية، التي عقدت في يونيو ٢٠٠٣ ودعا إليها الرئيس مبارك وشارك فيها الرئيس الأمريكي جورج بوش وخمسة زعماء عرب بهدف السعي لدعم السلام وتنفيذ خريطة الطريق . وفي فبراير من عام ٢٠٠٥ عقدت قمة شرم الشيخ الرباعية في محاولة لتحريك الركود الذي أصاب عملية السلام بمشاركة الرئيس مبارك ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ورئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون، والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، وهدفت القمة إلي وضع الأسس اللازمة لعملية السلام وبدء التفاوض المباشر ووقف كل أشكال العنف والتوتر بالمنطقة وهي الدعوة التي أشاد بها المجتمع الدولي.(١)

كامب ديفيد الثانية

شهد منتجع كامب ديفيد اتفاقية كامب ديفيد الأولي عام ١٩٧٨ بين الرئيس أنور السادات ومناحم بيجن، رئيس وزراء إسرائيل، بمشاركة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، أيضا عقدت فيه اتفاقية كامب ديفيد الثانية في عام ٢٠٠٠ بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق إيهود باراك والرئيس الأمريكي بيل كلينتون،وهناك اختلاف كبير بين نتائج الاتفاقيتين الأولي والثانية. الأولي: انتهت بعد ١٢ يوما من المفاوضات الشاقة بين الوفدين المصري والإسرائيلي بعودة كل الأراضي المصرية التي احتلتها إسرائيل في عام ١٩٦٧ والوصول إلي

(١) محمود مكاوي " شرم الشيخ.. مدينة الحرب والسلام " جريدة الأهرام بتاريخ ١٠/٧ / ٢٠٠٧

اتفاق سلام جنب مصر ويلات الحروب ونصت على عدم لجوء الجانبين إلي العنف لحسم النزاعات فيما بينهما، كما فتحت اتفاقية كامب ديفيد الأولي الباب لإبرام باقي الدول العربية اتفاقيات سلام مشابهة مثل لبنان وسوريا والأردن بحيث تؤدي في النهاية إلي اعترافات متبادلة وتعاون اقتصادي في المستقبل. كما تم طرح أفكار مصر لحل القضية الفلسطينية،وكانت تتضمن الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الضفة وغزة خلال ٥ سنوات بمفاوضات مباشرة تشارك فيها مصر وإسرائيل والأردن وممثلون عن الشعب الفلسطيني، ومنح الحكم الذاتي للفلسطينيين وهو ما جري التفاوض عليه في أوسلو ١٩٩٣ ، وفي كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠، وهو ما أظهر بعد نظر الرئيس السادات .

أما في كامب ديفيد الثانية فقد كان الفشل يطاردها بسبب عدم الإعداد، بالإضافة إلي أن ما طرحه باراك وكلينتون لم يكن من الممكن أن يقبل به الفلسطينيون. فقد حاول كلينتون في اجتماعات كامب ديفيد تجميد التفاوض علي وضع مدينة القدس إلي مرحلة مقبلة من المفاوضات، ثم اقترح جعل إحدى ضواحي مدينة القدس،عاصمة لدولة فلسطينية، أما خلف ما هو معلن فكان هو تفتيت ساحة الحرم، التي تشمل المسجد الأقصى وقبة الصخرة والباحة الواقعة بينهما بتطبيق نموذج الفاتيكان عليها بحيث تصبح الأماكن الإسلامية فوق الأرض فقط تابعة لجهات إسلامية أما ما تحت ساحة الحرم فهو تحت السيادة الإسرائيلية وفقا للادعاءات الإسرائيلية بوجود أطلال هيكل سليمان أسفلها، أما المواقع المسيحية مثل كنيسة القيامة وما حولها فتتبع هيئة الكنائس العالمية. مما أدي إلي فشل الاتفاقية. (١)

(١) نبيل السجيني " كامب ديفيد.. منتجع الاتفاقيات " جريدة الأهرام ٧/ ١٠/ ٢٠٠٧

خارطة الطريق

خارطة الطريق هو الاسم الذي تعرف به خطة السلام في الشرق الأوسط التي أعدتها عام ٢٠٠٢ ما تعرف باللجنة الرباعية والتي تضم كلا من الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا .

وتدعو "خارطة الطريق" إلى البدء بمحادثات للتوصل إلى تسوية سلمية نهائية – على ثلاث مراحل– للوصول إلى إقامة دولة فلسطينية بحلول العام ٢٠٠٥.

كما سينهي الاتفاق الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، على أساس مؤتمر مدريد، ومبدأ الأرض مقابل السلام، وقرارات مجلس الأمن الدولي ٣٣٨ و ٢٤٢ و١٣٩٧، والاتفاقيات السابقة التي تم التوصل إليها بين الطرفين، والمبادرة العربية التي عرضها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي التي وافقت عليها القمة العربية.

وفيما يلي أهم مبادئ الخطة الأمريكية :

المرحلة (أ) : من أكتوبر ٢٠٠٢ : مايو ٢٠٠٣ – الانتخابات

* تعيين حكومة فلسطينية جديدة، وخلق منصب رئيس حكومة فلسطينية، يمتلك الصلاحيات، بما في ذلك ما يتعلق بإجراء التغييرات الدستورية المطلوبة.

* تنشر القيادة الفلسطينية بيانا تعترف فيه بشكل لا يقبل التأويل، بحق إسرائيل في العيش بسلام وأمن، وتدعو فوراً إلى وقف الانتفاضة المسلحة، وكل النشاطات العنيفة ضد الإسرائيليين في كل مكان. وتتوقف كل المؤسسات الفلسطينية عن التحريض ضد إسرائيل.

* يتم توحيد قوات الأمن الفلسطينية في ثلاثة تنظيمات، تخضع لإمرة وزير داخلية مخول الصلاحيات.

* توقف إسرائيل كل الأعمال، التي تمس بالثقة، بما في ذلك الهجمات على المناطق المدنية، ومصادرة وهدم أملاك ومنازل الفلسطينيين وطردهم، سواء كان ذلك كخطوات عقابية أو لأغراض البناء الإسرائيلية.

* تستأنف الحكومة الإسرائيلية، فورا، التحويلات الشهرية لأموال الضرائب، بناء على جهاز رقابة وشفافية يتفق عليهما، وتحول إسرائيل إلى وزارة المالية الفلسطينية كل الأموال المستحقة عليها حتى نهاية ديسمبر ٢٠٠٢، بناء على جدول زمني يتم تحديده.

* تعمل الدول العربية بإصرار من أجل وقف التمويل الشخصي والشعبي للتنظيمات "المتطرفة"، وتقوم بتحويل دعمها للفلسطينيين عبر وزارة المالية الفلسطينية.

* تقوم إسرائيل بتفكيك البؤر الاستيطانية التي أقيمت منذ إقامة الحكومة الحالية، خلافا لخطوطها العريضة.

ثانيا: يناير – مايو ٢٠٠٣

* كلما تقدم التعاون الأمني، ينسحب الجيش الإسرائيلي تدريجيا من المناطق التي احتلها منذ ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠. ويتم استكمال الانسحاب قبل الانتخابات الفلسطينية. ويتم نشر قوات الأمن الفلسطينية في المناطق التي سيخليها الجيش الإسرائيلي.

* تجمد حكومة إسرائيل كل أعمال الاستيطان بناء على تقرير ميتشيل، بما في ذلك ما يتعلق بالزيادة السكانية الطبيعية في المستوطنات.

* يجري الفلسطينيون انتخابات حرة، مفتوحة ونزيهة للمجلس التشريعي.

* الدعم الإقليمي: بعد استكمال الانسحاب الإسرائيلي إلى خطوط ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، تعيد مصر والأردن سفيريها إلى إسرائيل.

المرحلة (ب): يونيو ٢٠٠٣: ديسمبر ٢٠٠٣

تبدأ المرحلة (ب) بعد الانتخابات الفلسطينية وتنتهي مع الإقامة المحتملة لدولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة حتى نهاية عام ٢٠٠٣.

* تعقد اللجنة الرباعية مؤتمرا دوليا، بموافقة الأطراف المعنية، فور انتهاء الانتخابات الفلسطينية بنجاح، في سبيل دعم إعادة البناء الاقتصادي الفلسطيني، وبدء مفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، حول إمكانية إقامة دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة.

* يكون هذا اللقاء شاملا، بهدف تحقيق السلام الشامل في الشرق الأوسط (بما في ذلك بين إسرائيل وسوريا ولبنان)، ويعتمد على المبادئ التي تم عرضها في مقدمة هذه الوثيقة.

* تستأنف العلاقات بين العرب وإسرائيل كما كانت عليه قبل الانتفاضة (كإقامة ممثليات تجارية).

* تستأنف "المحادثات متعددة الأطراف" (حول مسائل المياه وجودة البيئة والتطوير الاقتصادي واللاجئين ومراقبة الأسلحة الإقليمية).

المرحلة ج: ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ – الدولة

تعقد اللجنة الرباعية بموافقة الأطراف، في مطلع عام ٢٠٠٤، مؤتمراً دوليا، يتبنى الاتفاق الخاص بإقامة دولة ذات حدود مؤقتة، وتبدأ المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، حول الاتفاق الدائم والنهائي والمتكامل، الذي سيتم تحقيقه في عام ٢٠٠٥، بما في ذلك الاتفاق على الحدود والقدس ومسألة اللاجئين والمستوطنات، ودعم التقدم نحو الاتفاق الشامل في الشرق الأوسط بين إسرائيل ولبنان وسوريا الذي سيستكمل بأسرع ما يمكن.

* تحصل الدول العربية على علاقات طبيعية مع إسرائيل، وتحصل كل دول المنطقة على الأمن، بناء على المبادرة العربية التي أقرتها قمة بيروت. [1]

خطة شارون للانسحاب أحادي الجانب من غزة

رفضت إسرائيل منذ اللحظة الأولى خطة خارطة الطريق، واعتبرت عند الكشف عن هذه الخطة أن قيام دولة فلسطينية عام ٢٠٠٥ ضرب من المستحيل.

وحتى تتفادى إسرائيل الغضب الدولي أعلنت في النهاية موافقتها على الخطة شفهيا وذلك بعدما أدخلت عليها عشرات التعديلات، وحصلت على ضمانات أميركية بتبني التحفظات الإسرائيلية على المسودة الأخيرة من نص الخطة.

ورغم كل ذلك ظل شارون يلمح إلى أن لديه خطة سياسية كشف عن مضمونها صراحة خلال لقائه الرئيس الأميركي جورج بوش في أبريل ٢٠٠٤. وقد بارك بوش هذه الخطة التي أطلق عليها شارون اسم خطة الانسحاب أحادي الجانب وتعرف أيضا باسم خطة فك الارتباط، في حين انتقدتها السلطة الفلسطينية والدول العربية وأعضاء اللجنة الرباعية الذين اعتبروها إحدى حيل شارون للالتفاف على خطة السلام التي أقرها المجتمع الدولي.

وفيما يلي أهم ما جاء في وثيقة "فك الارتباط":

تلتزم إسرائيل بعملية السلام وتطمح للوصول إلى تسوية متفق عليها على أساس مبدأ دولتين لشعبين: دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهودي، ودولة فلسطينية للشعب الفلسطيني، وذلك كجزء من تحقيق رؤية الرئيس بوش.

([1]) إسلام أون لاين.نت/٢٥-١٠-٢٠٠٢

تؤمن إسرائيل بأن عليها العمل لتحسين الواقع الحالي، وقد استنتجت أنه لا يوجد هناك شريك فلسطيني يمكن التقدم معه بعملية سلام متبادلة. وفي ضوء ذلك بلورت خطة "فك الارتباط" الأحادية الجانب والتي تستند إلى العبارات التالية :

أ. الجمود السياسي المتجسد بالوضع الحالي مُضّر. ومن أجل الخروج من هذا الجمود على إسرائيل أن تبادر بخطوة غير مشروطة بتعاون من قبل الجانب الفلسطيني.

ب. الخطة ستؤدي إلى واقع أمني أفضل، على الأقل في المدى البعيد.

ج. في كل تسوية دائمة مستقبلية لن يكون هناك استيطان إسرائيلي في قطاع غزة. بالمقابل من الواضح أنه ستبقى في الضفة الغربية مناطق ستكون بمثابة جزء من دولة إسرائيل، وضمنها مستوطنات مدنية ومناطق أمنية وأماكن سيكون لإسرائيل فيها مصالح أخرى.

د. الانسحاب من قطاع غزة ومن شمال الضفة الغربية (أربع مستوطنات وقواعد عسكرية) سيقلل من مستوى الاحتكاك مع السكان الفلسطينيين، **ويكمن فيه جهد**؟؟ لتحسين نسيج الحياة الفلسطينية والاقتصاد الفلسطيني.

هـ. تأمل إسرائيل أن يحسن الفلسطينيون استغلال خطة فك الارتباط من أجل الخروج من دائرة العنف والاندماج من جديد في عملية الحوار.

و. خطة فك الارتباط ستلغي صحة الادعاءات ضد إسرائيل بخصوص مسؤوليتها عن الفلسطينيين في قطاع غزة.

ز. عملية "فك الارتباط" لا تنتقص من قيمة الاتفاقيات القائمة بين إسرائيل والفلسطينيين. وسيتم مواصلة العمل بالتسويات القائمة وذات الصلة. وعندما تظهر في الجانب الفلسطيني دلائل تؤكد استعداده ومقدرته على محاربة الإرهاب وتنفيذ

إصلاحات حسب خطة خارطة الطريق سيكون بالإمكان العودة إلى طريق المفاوضات والحوار.

تتوقع إسرائيل دعماً دولياً واسعاً لعملية فك الانفصال. يعتبر هذا الدعم حيوياً في سبيل دفع الفلسطينيين للقيام بالمهام الملقاة على عاتقهم بشكل فعلي، في مجالات محاربة الإرهاب وتنفيذ الإصلاحات حسب خارطة الطريق، وعندها يمكن العودة إلى مسار المفاوضات. (1)

مؤتمر " أنابوليس "

دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش في شهر يوليو ٢٠٠٧ إلى عقد مؤتمر في مدينة أنابوليس عاصمة ولاية ميريلاند لإنهاء حالة الجمود في عملية السلام في الشرق الأوسط .

هدف أمريكا من عقد المؤتمر

في مؤتمر صحفي، حدد ستيف هادلي إستراتيجية تتكون من ثلاثة أهداف تسعي الولايات المتحدة للخروج بها من مؤتمر أنابوليس أولها إعلان الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي عزمهما بدء مفاوضات لإنشاء الدولة الفلسطينية، والوصول إلي السلام، وهي مفاوضات ستكون مباشرة وثنائية.

والهدف الثاني يتمثل في إعلان تعهد فلسطيني . إسرائيلي بتنفيذ خطة خريطة الطريق وصولا إلي وضع يمكن فيه للمفاوضات التقدم مع مواصلة الطرفين تنفيذ التزاماتهما الواردة في هذه الخطة الدولية.

---

(1) الجزيرة نت .

والهدف الثالث إصدار تقرير حول الخطوات التي اتخذها سلام فياض رئيس الوزراء الفلسطيني، والبرنامج الذي وضعه لبناء مؤسسات حكومية وسياسية واقتصادية فلسطينية. [1]

وكانت هذه قائمة الذين دعتهم الحكومة الأمريكية للمشاركين في مؤتمر أنابوليس وفقا لما أعلنته الحكومة الأمريكية ، والقائمة تبدأ بالولايات المتحدة ثم إسرائيل فالسلطة الفلسطينية، ثم تتخذ ترتيبا هجائيا وفقا للحروف الإنجليزية: الجزائر الأمين العام للجامعة العربية البحرين البرازيل كندا الصين مصر المفوضية الأوروبية الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي الرئاسة البرتغالية للاتحاد الأوروبي فرنسا ألمانيا اليونان الهند إندونيسيا العراق إيطاليا اليابان الأردن لبنان ماليزيا موريتانيا المغرب النرويج عمان باكستان بولندا قطر روسيا السعودية السنغال سلوفانيا جنوب أفريقيا أسبانيا السودان السويد سوريا مبعوث اللجنة الرباعية توني بلير تونس تركيا الإمارات المملكة المتحدة الأمين العام للأمم المتحدة اليمن. كما يشارك كمراقبين: صندوق النقد والبنك الدوليان .[2]

موقف إسرائيل من المؤتمر

وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت قد كشف عن خططه بشأن مؤتمر السلام في أنابوليس بالولايات المتحدة حيث أكد أنه سيكون اجتماعا ليوم واحد لإطلاق المفاوضات مع الفلسطينيين .

وأعرب أولمرت لأعضاء لجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنيست الإسرائيلي، عن ثقته في إمكانية التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، ونقل عنه أحد المشاركين

([1])جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

([2])جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ / ١١ / ٢٠٠٧

في الاجتماع قوله : " ليس من المستحيل ردم هوة الخلاف". وأكد أنه سيسعى لانتزاع اعتراف من الفلسطينيين بأن "إسرائيل دولة للشعب اليهودي" . (1)

كما أكد أولمرت أن إبقاء الوضع القائم في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني على حاله يعتبر خطيرا على إسرائيل ، وقال : " إنه يخشى سيطرة حماس على الضفة الغربية بعد سيطرتها على قطاع غزة ، وأضاف في تصريحات نشرتها صحيفة هآرتس الإسرائيلية :" أن ضعف أو زوال التيار الفلسطيني المعتدل الذي يقوده أبو مازن هو بمثابة كارثة بالنسبة لإسرائيل (2)

وفي العاصمة التركية أنقرة وعد الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز بأن تسعى إسرائيل إلى تحقيق نتائج ملموسة في مؤتمر أنابوليس . وقال في مؤتمر صحافي مشترك مع الرئيس التركي عبد الله جول إن " إسرائيل قررت جعل مؤتمر أنابوليس ناجحا بهدف إنهاء الصراع وتحقيق السلام مع الفلسطينيين ومع أنفسنا".

وأضاف بيريز أن إحلال السلام يستغرق وقتا لكنه يعتقد بإمكانية تحقيق ذلك مع الفلسطينيين الآن، وأشار إلى أن كل الأطراف المعنية تتفق على ضرورة عدم إضاعة الفرصة الحالية. (3)

واعتبرت وزيرة الخارجية الإسرائيلية، تسيبي ليفني أن مؤتمر " أنابوليس" المقبل والمتعلق بتفعيل عملية السلام في الشرق الأوسط، يقدم فرصة مهمة لإحراز تقدم، مكررة دعمها لخارطة الطريق المدعومة من البيت الأبيض. وقالت ليفني، إن خارطة الطريق "هي الخطة الوحيدة" الموافق عليها.

---

(1) BBC بالعربية بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧ .

(3) BBC بالعربية بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠٠٧

وأعرب وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك عن شكوكه إزاء جهود السلام وسط هيمنة وسيطرة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" على قطاع غزّة . وقال باراك إنه لا يمكن للدولة العبرية تطبيق أي اتفاقية سلام ما لم يقم رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس بنزع سلاح "حماس" في غزة.

وكان باراك قد توعد ولأسابيع، بأن أي توغل عسكري إسرائيل واسع في غزة، ما هو إلا مسألة وقت، إلا أنه عاد وأكد أنه لا يريد تعريض مؤتمر أنابوليس للخطر.(1)

موقف السلطة الفلسطينية من المؤتمر

من جهته اعتبر رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، محمود عباس، خلال مؤتمر صحفي مشترك مع وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس في رام الله، أن الجهود الأمريكية الأخيرة التي بذلت في الشرق الأوسط تحضيراً لمؤتمر أنابوليس، أدت بالفعل إلى حدوث اختراق على هذا الصعيد، معرباً عن ثقته بوجود ما قال إنها "فرصة حقيقة للسلام ." وقال عباس إنه : "يتفق مع أولمرت حول وجود فرصة حقيقة لتحقيق السلام" مشيراً إلى أن مؤتمر أنابوليس سيتطرق إلى كافة القضايا الرئيسية العالقة منذ اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣.

وألمح عباس إلى أن هناك حلولا لكل القضايا العالقة بما فيها القدس والوضع النهائي واللاجئين، غير أنه رفض الإفصاح عن ماهية هذه الحلول، باعتبار أن ذلك "سابق لأوانه" ويجب أن يتم إعلانه في ختام المؤتمر.

وطالب عباس الإسرائيليين بتطبيق التزامات المرحلة الأولى من خريطة الطريق، بما في ذلك "وقف الاستيطان والاعتداءات وتدمير المؤسسات وإزالة الحواجز " إلى جانب السماح بإعادة افتتاح المكاتب الفلسطينية في القدس والإفراج عن المعتقلين.

---

(1) CNN ١٦ / ١١ / ٢٠٠٧

بالمقابل، تعهد رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية بأن ينفذ التعهدات الخاصة بالطرف الفلسطيني، وفي مقدمتها توحيد السلاح وتطبيق القانون على كامل أراضي السلطة، على أن يفضي ذلك إلى إنشاء دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية. (1)

موقف حماس والجهاد الإسلامي

وفي حين رحب رئيس السلطة الوطنية محمود عباس بالمؤتمر فإن قيادات حركة المقاومة الإسلامية "حماس" حذرت عباس من السقوط في "فخ" تقديم تنازلات لإسرائيل في مؤتمر أنابوليس ، ودعا رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية أمام آلاف المصلين خلال صلاة عيد الفطر في غزة عباس إلى عدم " الوقوع في شرك المؤتمرات الخداعة التي يراد من خلالها تصفية القضية الفلسطينية " وأضاف هنية : " لا تمنحوا دولة الاحتلال حق التطبيع معكم في ظل احتلالها للأرض وتشريدها للملايين من أبناء شعبنا. "

وشدد هنية على ضرورة وحدة الوطن وإعادة التلاحم بين الضفة الغربية وقطاع غزة ووحدة النظام السياسي الفلسطيني أي أن تكون هناك سلطة واحدة وحكومة واحدة ونقلت اسوشيتد برس عن هنية قوله : " إننا ندعو مباشرة أشقاءنا العرب وخاصة المملكة العربية السعودية ومصر ونطلب منهم إعادة النظر في أي قرار بالمشاركة في هذا المؤتمر ".

ومن جانبه حذر رئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل من الوقوع في شرك المؤتمر متهما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة استغلال انشقاق الصف الفلسطيني لانتزاع اتفاق .

---

(1) نفسه .

وقال مشعل خلال حديث لإذاعة حماس أن عباس وحلفاءه سيكتشفون أنه لا يلاحقون سوي سراب [1]

والجدير بالذكر أن حماس أوضحت أن قرار الدول العربية المشاركة في الاجتماع " لا ينتقص من مساندة الدول العربية لحركة حماس، ولا يقلل من وقوف العرب إلى جانب الحقوق الفلسطينية ". [2]

ووصف الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان شلح مؤتمر أنابوليس بأنه مصلحة أميركية وإسرائيلية .

وقال للجزيرة إن المؤتمر يستهدف وضع الخطوط العريضة لتسوية تتجاهل حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وقضية القدس وتحرر إسرائيل من أي التزام بقضية اللاجئين .

وأضاف شلح أن الأردن سيكون له دور أساسي في التسوية التي يرمي مؤتمر أنابوليس لإرساء أسسها سواء بتصفية القضية الفلسطينية على حد قوله أو تقاسم دور أمني ووظيفي مع ما وصفه ببقايا السلطة الفلسطينية. [3]

كما عقدت الفصائل الفلسطينية المعارضة لمؤتمر أنابوليس مؤتمرات وفعاليات مناهضة لهذا المؤتمر ، وعقدت الجبهتان الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين والمبادرة الوطنية وشبكة المنظمات الأهلية وعدد من النقابات المهنية مؤتمرا شعبيا مناهضا لأنابوليس في غزة ولم تنجح الفصائل الفلسطينية المعارضة لمؤتمر أنابوليس في عقد مؤتمر بسبب التباين بينهم [4]

([1]) CNN ١٤/ ١٠ / ٢٠٠٧
([2]) العربية نت بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧
([3]) الجزيرة نت ١١ / ١١ / ٢٠٠٧
([4]) جريدة القبس بتاريخ ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٧

موقف سوريا من المؤتمر

صرح بشار الأسد وأحمدي نجاد قبل المؤتمر بيومين بأن " المؤتمر محكوم عليه بالفشل " (١)

وصرح وليد المعلم وزير الخارجية السورية بأن قضية مرتفعات الجولان السورية المحتلة ليست قابلة للتفاوض، وأكد أن سوريا لن تعترف بإسرائيل قبل انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧، وأن حالة الحرب بين إسرائيل وسوريا لا تزال قائمة. وأضاف أن نقطة الانطلاق واضحة علي المسار السوري . الإسرائيلي، مشيرا إلي أن سوريا لا يمكن أن تعود إلي نقطة الصفر في المفاوضات، بعد أن أنجزت٨٥% من عناصر اتفاق السلام مع إسرائيل في مؤتمر مدريد . (٢)

كما صرح وليد المعلم بأن بلاده ستشارك في أنابوليس إذا وافقت واشنطن صراحة على إدراج قضية الجولان المحتلة في جدول الأعمال مشيرا إلى أن رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وعدت برد إيجابي دمشق ، ودمشق تنتظر رسالة رسمية . (٣)

وكشف ستيف هادلي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي – قبل بدء المؤتمر بساعات – عن أن قضية هضبة الجولان السورية ليست مدرجة علي جدول أعمال المؤتمر . علي عكس ما تردد من قبل . إلا أنه ستكون أمام جميع المشاركين الفرصة للحديث عما يريدون من قضايا .(٤)

وبرغم تصريح بشار الأسد بأن المؤتمر محكوم عليه بالفشل ، وبرغم أن الإدارة الأمريكية رفضت إدراج قضية الجولان على جدول الأعمال إلا أن وفدا سوريا برئاسة فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري قد شارك في المؤتمر !!

---

(1) قناة الجزيرة ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٧
(2) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
(3) جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
(4) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

موقف وزراء الخارجية العرب من المؤتمر

قرر وزراء الخارجية العرب قبول الدعوة لحضور مؤتمر أنابوليس، الذي دعت الولايات المتحدة لعقده يوم ٢٧ / ١١/ ٢٠٠٧ . وأوضح بيان أصدرته لجنة المبادرة العربية في ختام اجتماعاتها بالقاهرة يوم ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧ أن المشاركة العربية في أنابوليس ستتم علي المستوي الوزاري، للبحث في عملية السلام، وذلك في إطار المرجعيات المتمثلة في قرارات الشرعية الدولية، وخريطة الطريق، ومبادرة السلام العربية في ختام الاجتماعات .

وأوضح عمرو موسي أمين عام الجامعة العربية في مؤتمر صحفي مشترك مع الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أنه لن يكون هناك اتفاق عربي إسرائيلي في أنابوليس، بل إطلاق لعمليه سلام، مؤكدا أنه لن يكون هناك تطبيع مجاني مع إسرائيل وأوضح موسى أن الموقف العربي من مسألة التطبيع تحكمه المبادرة العربية للسلام وأن وجود إسرائيل في المؤتمر لن يغير شيئا، ولن يكون هناك أي التزام عربي إلا مقابل التزام من الطرف الآخر، وتحدث عن وجود أفكار بعقد اجتماع ثان بموسكو بعد اجتماع أنابوليس بشهرين أو ثلاثة لمراجعة ما تم انجازه.[1]

وشارك في اجتماع الجامعة العربية وزراء خارجية وممثلي الدول الـ١٦ التي وجهت إليها الولايات المتحدة دعوات رسمية وهي : الأردن والإمارات والبحرين وتونس والجزائر والسعودية والسودان وسوريا وسلطنة عمان وفلسطين وقطر ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا واليمن.[2]

الموقف المصري من المؤتمر

الموقف المصري الذي تم إبلاغه بوضوح تام إلي الإدارة الأمريكية هو أن المؤتمر يجب أن يأخذ في اعتباره كأحد مراجع الاستناد أسس عملية السلام وهي

([1]) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧ .
([2]) العربية نت ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧

عملية شاملة على مختلف الجبهات ومع كل الأطراف التي لها نزاع مع إسرائيل . وبالتالي فإن المرجعية هنا يجب أن تظل كما كانت دائما للقرارات الدولية خاصة ٢٤٢ و٣٣٨ ومرجعية مؤتمر مدريد والمبادرة العربية. بناء علي ما سبق فإن خريطة الطريق وفقا للموقف المصري تعني فقط بالمسار الفلسطيني وليس مرجعية للسلام الشامل باعتبارها خطة تنفيذية وبالتالي فهي لا ترقى إلى مستوى المرجعية السياسية .

ما ينطبق علي المسار الفلسطيني يجب أن ينطبق أيضا علي المسار السوري. ويجب مشاركة سوريا ودعوتها بصيغة مناسبة وبما يعكس أن المؤتمر يعقد في إطار السعي للحل الشامل والرغبة في فتح الحوار مع مختلف الأطراف العربية حتى ولو كان التركيز على القضية الفلسطينية . التقويم النهائي للمؤتمر والحكم بنجاحه أو فشله سيكون لاحقا وليس سابقا عليه. وعوامل هذا التقويم ستستند إلى ما يصدر عن المؤتمر من مستندات وبيانات مهمة لأن الهدف ليس مجرد مفاوضات أو أقامة احتفالية . [1]

إن النشاط الدبلوماسي العربي المكثف الذي تقوده مصر له عنوان واحد هو ماذا سيفعل العرب في مؤتمر أنابوليس للسلام يوم الثلاثاء المقبل ؟

ومن الإنصاف القول: إن القيادات العربية المهتمة بعمليه السلام حاولت قدر جهدها أن تنسق المواقف فيما بينها وأن تحاول الوصول إلى أرضية مشتركة للتعامل مع التحدي الذي يمثله المؤتمر، خاصة أن الإدارة الأمريكية تسعي إلي الخروج بنتائج محددة في نهايته.

من هنا فان القمة الثلاثية التي استضافتها شرم الشيخ يوم (٢٠٠٧/١١/٢٢) ، وشارك فيها الرئيس حسني مبارك والعاهل الأردني عبد الله الثاني والرئيس الفلسطيني

([1]) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧

محمود عباس، حرصت علي دعم المفاوض الفلسطيني من أجل إطلاق مفاوضات جادة بأجل زمني محدد علي مسار السلام الفلسطيني الإسرائيلي وقد سبق هذه القمة لقاءات عديدة للرئيس مبارك، استهدفت تأكيد ضرورة أن يذهب الوفد الفلسطيني إلي المؤتمر وهو مزود بدعم ومسانده وتشجيع من العرب جميعا.

كما أن قمة شرم الشيخ الثلاثية سبقتها قمة رباعية شهدتها القاهرة قبل أسبوعين بين الرئيس مبارك ورؤساء السودان واليمن والعراق، حيث أكد القادة وقوفهم جنبا إلي جنب مع القيادة الفلسطينية التي تخوض معركة السلام حاليا. واستكمالا لهذا النشاط استضافت القاهرة يوم (٢٠٠٧/١١/٢٣) بمقر الجامعة العربية اجتماعات وزراء خارجية دول مبادرة السلام العربية لاتخاذ موقف مشترك بشأن المشاركة العربية في مؤتمر أنابوليس . (١)

ويلخص إبراهيم نافع الموقف الرسمي لمصر من عملية السلام عامة ومؤتمر أنابوليس بصفة خاصة فيقول : " مرت ثلاثون عاما علي مبادرة الرئيس الراحل أنور السادات بزيارة القدس، وهي المبادرة التي أحدثت تغييرا كبيرا في مسيرة الصراع العربي / الإسرائيلي، ولو كانت الدول العربية المعنية ومعها منظمة التحرير الفلسطينية قد اتخذت قرارها بالسير مع السادات فربما تغير وجه الشرق الأوسط بالكامل، ولقد تمكن السادات بعد أقل من عامين من هذه الزيارة من توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل، وبموجبها استعادت مصر كامل ترابها الوطني، وقد تصادف حلول ذكري مرور ثلاثين عاما على المبادرة مع وجود جدل عربي حول الموقف من قمة أنابوليس للسلام .

فالدول العربية المعنية مازالت تجادل في جدوى الاشتراك في هذه القمة ووراءها جيش من المحللين والإعلاميين الذين يشككون في كل شيء نفس الأصوات التي

(١) رأي الأهرام " توافق العرب شرط نجاحهم في أنابوليس " بتاريخ ٢٣ / ١١/ ٢٠٠٧

عارضت مبادرة الرئيس السادات ورأتها عديمة الجدوى ، تنظر إلي القمة الجديدة باعتبارها نوعا من الاستسلام للعدو، وتشكك في كل خطوة علي طريق .

المفاوضات، وتري فيها فخا منصوبا لتصفية القضية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه لا تقدم أي بديل لحل القضية، فالرأي عندهم هو رفض كل المبادرات، في حين تواصل إسرائيل تهويد الأرض واستعمارها ومازالت هذه الأصوات تكرر نفس الحجج، وتطرح نفس المبررات لمقاطعة كل جهد تفاوضي في حين أن الحسابات الموضوعية تقول انه لا يوجد حل عسكري للصراع، ومادمنا قد اتفقنا علي هذه النتيجة المنطقية، فان المصلحة الفلسطينية والعربية تقتضي استثمار كل فرصة متاحة للتسوية السياسية، ومحاولة التوصل إلي اتفاق فلسطيني / إسرائيلي أولا ثم، الاهتمام بباقي المسارات الأخرى.

لقد أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن اجتماع أنابوليس يمثل فرصة تاريخية، وما دامت هذه رؤيته فإنه ينبغي علي الأطراف العربية المختلفة أن تدعمه وتسانده وتقف إلى جواره، وأحسب أن هذا ما تقوم به الدبلوماسية المصرية اليوم، فما يبذله الرئيس حسني مبارك من جهد، وما تقوم به الدبلوماسية المصرية من تحركات يستهدف دعم الموقف الفلسطيني ومساندته، وتوفير الأسس الكفيلة بإنجاح اجتماع أنابوليس ليفتح الطريق أمام مفاوضات فلسطينية . إسرائيلية مباشرة يمكن أن تؤتي ثمارها في غضون العام المقبل. (1)

فعاليات مؤتمر أنابوليس

انطلقت فعاليات مؤتمر أنابوليس في السابع والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٧ وحضره ممثلون لـ ٤٠ دولة منها ١٦ وزير خارجية عربي يمثلون : الجزائر والبحرين ومصر

(1) إبراهيم نافع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧

والأردن ولبنان وموريتانيا والمغرب وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والسودان وسوريا وتونس ودولة الإمارات العربية المتحدة واليمن. كما شاركت دول إسلامية أخرى في المؤتمر هي اندونيسيا وماليزيا وباكستان وتركيا.

أكد الرئيس الأمريكي جورج بوش في كلمته الافتتاحية لأعمال المؤتمر أن الوقت قد حان لإحياء مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية المتوقفة منذ فترة طويلة ، وتعهد ببذل كل جهد للوصول إلى اتفاق قبل نهاية عام ٢٠٠٨ مشيراً إلى أن الفلسطينيين والإسرائيليين توصلوا إلى بيان مشترك .

ورأى بوش أن ما أسماه بأمن إسرائيل سيتعزز بإقامة الدولة الفلسطينية منوها بجهود الرئيس الفلسطيني محمود عباس و رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لتحقيق تطلعات شعبيهما .

وكان الرئيس الأمريكي قد أعلن في بداية المؤتمر أن إسرائيل والفلسطينيين اتفقوا اليوم على البدء فورا في المفاوضات الرامية للتوصل إلى معاهدة للسلام لوضع نهاية للصراع الذي دام عشرات السنين .

وتلا بوش من بيان مشترك فلسطيني إسرائيلي مكتوب وقال : " اتفقنا على البدء فورا بنية خالصة في مفاوضات ثنائية بغرض الوصول إلى معاهدة للسلام تسوي جميع القضايا المعلقة بما في ذلك القضايا الأساسية بلا استثناء " وأضاف أن الجانبين اتفقا على العمل على الوصول إلى اتفاق بحلول نهاية عام ٢٠٠٨ . وكان بوش قد اجتمع قبيل بدء المؤتمر مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي ،وأعلن الرئيس الأمريكي أن إسرائيل والفلسطينيين اتفقا على تشكيل لجنة توجيه للإشراف على مفاوضات السلام ستعقد أول اجتماع لها في ١٢ ديسمبر القادم في إطار اتفاق توصل إليه أولمرت وعباس .

وقال بوش في الكلمة التي ألقاها عقب تلاوته للبيان وأعقبها مصافحة بين عباس وأولمرت إن " الوقت مناسب والقضية عادلة وأعرف أنه يمكنهم النجاح بالجهود المضنية " .

وكرر بوش قوله أن الهدف من مؤتمر أنابوليس ليس التوصل إلى اتفاق وإنما بدء المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين ..واصفا المهمة التي بدأت هنا في أنابوليس بأنها ستكون شاقة ..وقال : " هذه بداية العملية وليست نهايتها ولا يزال هناك كثير من العمل يتعين أداؤه " .

وحث على الحد من مما أسماه بأنشطة المسلحين و من أنشطة الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة وقال إنهما التزامان تعهد الجانبان بتنفيذهما بموجب خطة خارطة الطريق لعام ٢٠٠٣ ..وقال : " عليهم (الزعماء الفلسطينيين) أن يظهروا أن أي دولة فلسطينية ستوجد فرصة لكل مواطنيها وستحكم بالعدل وتفكك البنية الأساسية للإرهاب " حسب قوله .

وأكد بوش على ضرورة أن تظهر إسرائيل دعمها لإنشاء دولة فلسطينية تتمتع بالرخاء والنجاح من خلال إزالة المواقع الاستيطانية المقامة دون ترخيص ووضع نهاية للتوسع الاستيطاني وإيجاد سبل أخرى تمكن السلطة الفلسطينية من الاضطلاع بمسئولياتها دون تعريض أمن إسرائيل للخطر .

من ناحيته أكد الرئيس الفلسطيني أن المؤتمر فرصة لن تتكرر مرة أخرى للسلام في الشرق الأوسط ..مشددا على ضرورة البدء فورا في مفاوضات شاملة ومعمقة مع الإسرائيليين تتناول جميع القضايا الجوهرية ..وقال : " إنه من المتعين البدء غدا في مفاوضات شاملة ومعمقة بشأن جميع قضايا الوضع النهائي بما في ذلك القدس واللاجئين والحدود والمستوطنات والمياه والأمن وغير ذلك " .

ونوَّه الرئيس الفلسطيني بالحضور المتميز والمشاركة الواسعة فى المؤتمر ووصفه بأنه يشكل قوة دفع وحماية لعملية السلام بأنه يحمل معاني التشجيع على مضى مفاوضات السلام قدما إلى الأمام وضرورة الوصول إلى حل الدولتين القائم على إنهاء الاحتلال وقيام دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل وحل كافة قضايا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والعربي الإسرائيلي من كافة جوانبها كخطوة نوعية لابد منها حتى تقام علاقات سلام شامل وطبيعة في المنطقة.

وأوضح أن المساهمة العربية والإسلامية والمشاركة الدولية الواسعة في أعمال المؤتمر تدل على وقوف الدول الشقيقة والصديقة معنا كشعب فلسطين وكقيادة لهذا الشعب في جهودنا لتحقيق السلام وهو دعم لنهجنا الذي يدعو إلى تسوية تاريخية متوازنة تكفل السلام والأمن لدولتنا المستقلة ولإسرائيل ولجميع دول المنطقة . من جانبه تعهد رئيس الوزراء الإسرائيلي في كلمته أمام المؤتمر بالدخول في مفاوضات متواصلة مع الفلسطينيين في مسعى لاستكمال اتفاق للسلام العام القادم ، وقال : إنها ستكون مفاوضات ثنائية مباشرة متواصلة ومستمرة في مسعى لإكمالها خلال عام ٢٠٠٨ .

وعبر أولمرت عن اعتقاده بأن الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني سيتمكنان من الوصول إلى اتفاق يحقق رؤية الرئيس الأمريكي ..دولتان لشعبين ..وقال : إن إسرائيل مستعدة لما وصفه بتسوية مؤلمة من أجل التوصل إلى سلام مع الفلسطينيين.

وأوضح أن المفاوضات مع الفلسطينيين ستنطلق من إسرائيل ومن الأراضي الفلسطينية وستكون ثنائية وأن هذه المفاوضات ستقوم على أساس الاتفاقيات السابقة والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن وخارطة الطريق والخطاب الصادر من الرئيس جورج بوش في أبريل ٢٠٠٤ لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق آرييل شارون.

وتعهد أولمرت بالالتزام بكافة الالتزامات الواردة في خارطة الطريق والتي ستنص عليها الاتفاقات التي سيتم التوصل إليها .

وقال : إنه يقدِّر مبادرة السلام العربية وإنه سيتم دوماً الإشارة إليها في المفاوضات مع الفلسطينيين .. مشيراً إلى أن السلام مع مصر والأردن يشكل حجر الأساس للسلام والاستقرار في المنطقة وأن علاقاته الوثيقة مع الرئيس المصري حسني مبارك والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني هي علاقات مهمة للغاية لعملية بناء الثقة والتفاهم مع العالم العربي .

وعقب انتهاء أولمرت من كلمته تصافح مع الرئيس الأمريكي والرئيس الفلسطيني ثم أنهت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس الجلسة ودعت الحضور إلى غداء عمل (1)

جبهة رفض مؤتمر أنابوليس

أثناء انعقاد المؤتمر تظاهر عشرات الآلاف من الفلسطينيين في أنحاء قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة حماس ضد مؤتمر أنابوليس للسلام .

وجرت التظاهرة الرئيسية في مدينة غزة حيث خرجت مسيرة حاشدة تندد بمشاركة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في المؤتمر ، وردد المشاركون هتافات مثل " الموت لأميركا وإسرائيل" واتهموا الرئيس عباس بالتآمر.

وخاطب رئيس الحكومة المقالة إسماعيل هنية المتظاهرين في غزة وتوقع فشل المؤتمر وجدد تصريحاته الرافضة لإلقاء حماس السلاح أو التطبيع مع إسرائيل.

وفي رام الله بالضفة الغربية استخدمت الشرطة الفلسطينية الهراوات وأطلقت الأعيرة النارية في الهواء لتفريق المئات ممن تجمعوا للتظاهر ضد مؤتمر أنابوليس.

---

(1) وكالة أنباء الإمارات بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

وأفادت الأنباء بأن قوات الأمن حاصرت المتظاهرين ومعظمهم من حزب التحرير الإسلامي فور خروجهم من مسجد عبد الناصر لبداية المسيرة.

كما وقعت مصادمات بين الشرطة والمتظاهرين في ساحة المنارة وسط رام الله .

وتكرر المشهد في مدينتي نابلس والخليل حيث تصدت الشرطة بقوة للمئات الذين رددوا الهتافات المعارضة لمؤتمر أنابوليس. وأفادت الأنباء بمقتل احد المتظاهرين في مدينة الخليل.

وفي عمان احتج الأردن لدى إيران رسميا على تعرض سفارته في طهران للقذف بالحجارة على يد متظاهرين ضد مؤتمر أنابوليس وطالبها باتخاذ إجراءات لمنع تكرار الاعتداءات.

وذكرت وكالة الأنباء الرسمية (بترا) أن وزير الدولة لشئون الإعلام والاتصال وزير الخارجية بالوكالة ناصر جودة استدعى سفير إيران في عمان محمد الإيراني وأبلغه "استهجان واستنكار الحكومة الأردنية الشديدين" لسلوك المتظاهرين.

ونقلت (بترا) عن السفير الإيراني تأكيده أن "سلطات بلاده سيطرت على الوضع وفرقّت المتظاهرين".

وكان إيرانيون تجمعوا الاثنين أمام مقر السفارة الأردنية في طهران وردّدوا عبارات معادية للأطراف المشاركة في المؤتمر.

وتزامن استدعاء السفير الإيراني مع تنظيم النقابات المهنية الأردنية – ١٥ نقابة تضم في الإجمال ١٥٠ ألف منتسب– مهرجان خطابي احتجاجا على مشاركة المملكة في مؤتمر أنابوليس .[1]

([1]) BBC بالعربية بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

وذكرت وسائل الإعلام الإيرانية أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أبلغ العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز في اتصال هاتفي انه يأمل 'بألا يسجل اسم السعودية' بين الدول المشاركة في اجتماع أنابوليس.. بينما قال الزعيم الإيراني آية الله علي خامنئي أن مؤتمر أنابوليس مصيره الفشل " [1]

نتائج مؤتمر أنابوليس

أطلق الرئيس الأمريكي جورج بوش مفاوضات التسوية الدائمة من البيت الأبيض في لقاء رعاه بين الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت، وهو الثالث بينهما في غضون ٤٨ ساعة، وذلك قبل مغادرتهما عائدين إلى بلديهما.

وذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" أن محمود عباس وأولمرت اتفقا على بدء مفاوضات التسوية الدائمة بشكل فعلي في يناير المقبل في ست لجان عمل فرعية، يتعامل كل منها مع أحد الملفات الست وهي القدس واللاجئون والحدود والأمن والمياه والاستيطان، بينما ستعقد لجنة التوجيه المشتركة في ١٢ ديسمبر الأول في القدس المحتلة.

وستلعب الولايات المتحدة دور المتابع وليس الشريك، والحكم خلال الخلافات .

وفي كلمة أوجزت بها نتائج مؤتمر أنابوليس الذي لم تصدر عنه توصيات أو بيانات أو وثائق باسم المشاركين، ذكرت رايس أن الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي اتفقا علي البدء الفوري في تنفيذ خريطة الطريق لتحسن الأوضاع علي الأرض لكليهما ووضع أسس حل الدولتين وقالت إنه خلال المباحثات الثنائية سيناقش

([1])جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

الجانبان كل القضايا الجوهرية بما فيها الحدود والأمن واللاجئون والمياه والمستوطنات والقدس. وأكدت أن هذا إنجاز كبير ومهم بالنسبة لهما لأن المفاوضات حول القضايا الجوهرية لم تجر أبدا طيلة ٧ سنوات.(1)

أفادت مصادر إخبارية بأنه تم تعيين الجنرال جيم جونز القائد السابق للقوات الأمريكية في أوروبا والقائد الأسبق لقوات حلف شمال الأطلسي، مراقبا وحكما باسم الولايات المتحدة لتطبيق المرحلة الأولى من خطة "خريطة الطريق".

وذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" إن مهمة جونز ستكون مراقبة كيفية قيام كل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية بتطبيق التزاماتهما في "خريطة الطريق". وفي حالة وجود شكوى من أي طرف ضد الآخر، سيلجأ إلى الجنرال جونز، ليحكم بين الطرفين ويقرر أيا منهما لم يحترم التزاماته.

وحسب التفاهمات الإسرائيلية الفلسطينية في أنابوليس، تقرر أن يجري تطبيق المرحلة الأولى من "خريطة الطريق"، من دون علاقة بمسار المفاوضات حول التسوية الدائمة.

وفي الماضي، كانت إسرائيل تربط المفاوضات بالتطورات على الأرض. فإذا رأت أن الفلسطينيين لا يطبقون التزاماتهم، كانت توقف المفاوضات وتفرض إجراءات عقابية على الفلسطينيين. والآن، لا يجوز لها ذلك وعليها أن تلجأ إلى التحكيم الأمريكي .

قال الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن مؤتمر أنابوليس الدولي للسلام "وضع القطار على السكة" في طريق إقامة دولة فلسطينية.

---

(1) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٧

وذكر راديو "سوا" الأمريكي أن تصريح عباس جاء ردا على سؤال للصحفيين في واشنطن حول ما إذا كان مؤتمر السلام في أنابوليس قد قرب الفلسطينيين من قيام دولة فلسطينية كما يطمحون.

وأضاف عباس: "نحن متفائلون بالنتيجة التي وصلنا إليها، جئنا بهدف ونستطيع أن نقول إننا حققنا هذا الهدف".

إلى ذلك أكد رياض المالكي وزير الإعلام والعدل الفلسطيني أن مؤتمر أنابوليس حقق نجاحا للقضية الفلسطينية حتى قبل أن يبدأ، وأنه أعاد للقضية الفلسطينية هيبتها ووضعها في صدارة الاهتمام العربي والدولي. (1)

ونقل راديو " سوا " الأمريكي عن نبيل أبو ردينة الناطق باسم الرئاسة الفلسطينية قوله : " إن ما يجري علي أرض الواقع سيكون امتحانا لمصداقية الولايات المتحدة الأمريكية، ومدي جدية إسرائيل .. إننا سنحكم علي الأمور عندما نرى أفعالا علي الأرض، وأن الامتحان والاختبار لإسرائيل في الأيام المقبلة هو عندما نرى مصداقية حركتها علي الأرض ومدي تقدم الأمور بالاتجاه الذي سيمهد لقيام دولة فلسطينية.

واستبعد أبو ردينة إمكانية اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية.. وهذا ما تم إبلاغه للرئيس الأمريكي ولرئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت.(2)

وبعد ساعات قليلة من الإعلان عن استئناف مفاوضات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين في مؤتمر أنابوليس بالولايات المتحدة، استبعد رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت . في حديث للإذاعة الأمريكية العامة . التوصل إلي اتفاق سلام خلال العام المقبل، وذلك علي الرغم من التوقعات الأمريكية الخاصة بالتوصل إلي معاهدة سلام قبل نهاية العام المقبل.

---

(1) شبكة الأخبار العربية بتاريخ ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٧

(2)جريدة الأهرام بتاريخ ١١/٢٩/ ٢٠٠٧

وذكر راديو إسرائيل، أن مجلس الوزراء الإسرائيلي سيصدق علي إنشاء إدارة للتفاوض مع السلطة الفلسطينية بعد الاتفاق علي بدء مفاوضات الحل النهائي بين الجانبين في مؤتمر أنابوليس للسلام.(1)

وفي القدس، هدد زعيما حزبي شاس و(إسرائيل بيتنا) إيلي يشاي وأفيجدور ليبرمان(وهما يشغلان منصبي نائبي رئيس وزراء) بالانسحاب من الحكومة، وهو ما يعني إسقاطها إذا ما قام أولمرت بتحويل أقواله أمام المؤتمر إلي أفعال، أو إذا أقدم علي تفكيك بؤر استيطانية، كما اتهم بنيامين نيتانياهو زعيم حزب الليكود إيهود أولمرت بالاستمرار في تقديم تنازلات بلا مقابل.(2)

واعتبرت المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل أن نتيجة مؤتمر أنابوليس تشكل " فرصة لعملية مفاوضات جديدة ". وقالت : " إن 'حلم التعايش السلمي' وتسوية النزاع عن طريق إقامة دولتين، إسرائيل وفلسطين، قد يتحقق . "

ورأى وزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند أن أنابوليس أعطى الشرق الأوسط " بصيص أمل " لكن الطريق ستكون شاقة .

وأعلن أن بريطانيا ستساهم بـ٥٠٠ مليون دولار لقيام الدولة الفلسطينية خلال مؤتمر المانحين المقرر عقده في باريس في ١٧ ديسمبر .

ومن المقرر متابعة نتائج أنابوليس في مؤتمر لاحق في موسكو وأخر لمانحين في باريس. وقد أعلن وزير الخارجية الفرنسي بيرنار كوشنير أن اجتماعي متابعة دوليان لاجتماع أنابوليس سيعقدان في باريس في ١٧ ديسمبر وفي موسكو في بداية ٢٠٠٨.

---

(1) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩

(2) نفسه .

وقال للصحافيين " الجميع دعوا إلى مؤتمر باريس في ١٧ ديسمبر لإعطاء هذا التصور للدولة الفلسطينية محتوى واقعيا وحتى تتغير حياة الفلسطينيين " مؤكدا بذلك رسميا موعد اجتماع باريس.. " هذا ضروري لضمان أمن إسرائيل ومن أجل تغيير تام للواقع اليومي للفلسطينيين "

ومن جهة أخرى قال كشونير أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف اقترح تنظيم اجتماع في موسكو حول المسار السوري – الإسرائيلي من عملية السلام 'ربما بحلول نهاية يناير ٢٠٠٨'.

وتابع أن المسيرة التي أطلقت في أنابوليس تحظى بذلك بـ " متابعة لصيقة " مضيفا : " أن ذلك يضفي جدية على هذه العملية التي تحتاج إلى ذلك وأيضا إلى القليل من الرومانسية'.(1)

وفي طريق عودته للقاهرة بعد مشاركته في المؤتمر، وصف السيد أحمد أبو الغيط (وزير خارجية مصر) مؤتمر أنابوليس للسلام بأنه خطوة مهمة علي طريق استئناف وإتمام المفاوضات الفلسطينية . الإسرائيلية، كما أن المؤتمر أبرز تعجل المجتمع الدولي لتسوية النزاع العربي / الإسرائيلي بوجه عام ، والفلسطيني / الإسرائيلي بشكل خاص، والي إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كعنصر أساسي في استقرار الشرق الأوسط. (2)

توالت ردود الأفعال في الأرض المحتلة حول نتائج اجتماع أنا بوليس فقد أكدت حركة المقاومة الإسلامية حماس أن ما ورد في الخطابات التي ألقيت في أنابوليس دليل علي فشل الاجتماع، وحذرت من أن تعمد إسرائيل إلي التصعيد في الأراضي

---

(1) جريدة القبس بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩/١١/ ٢٠٠٧

المحتلة سيكون لتغطية هذا الفشل وقال سامي أبو زهري المتحدث باسم حركة حماس أن خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش هو دليل علي فشل اجتماع أنا بوليس لأن بوش حينما دعا لهذا الاجتماع منذ البداية أكد أنه سوف يتمخض عن إعلان دولة فلسطينية فإذا به الآن يعلن عن انطلاق مفاوضات فقط وهو ما يمثل العودة لشعبنا إلي الوراء لأن هناك مفاوضات سابقة، واتفاقات سابقة لم يلتزم بها الاحتلال الإسرائيلي .

وأضاف أن الخطير هو اعتراف بوش خلال خطابه بإسرائيل كوطن قومي لليهود، وهو ما يعني شطب حق العودة فيما اكتفي بوش بتجديد وعوده الفارغة حول إقامة دولة فلسطينية وهو أمر غير جدي في ظل انشغال الساحة الأمريكية بالانتخابات العامة خلال الأشهر القليلة المقبلة .

ورأى أبو زهري أن رئاسة الولايات المتحدة لآلية لمتابعة ملف المفاوضات الفلسطينية–الإسرائيلية، يعكس أن عنوان المرحلة المقبلة هو إلزام السلطة بتطبيق الالتزامات الأمنية الواردة في خطة خارطة الطريق مقابل استمرار المفاوضات .

ومن ناحية أخري تبرأت لجان المقاومة الشعبية وجناحها العسكري ألوية الناصر صلاح الدين، من الوفد الفلسطيني المشارك في أنابوليس، ومن كل مشروع يستهدف التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين وذكرت لجان المقاومة: إن الاعتراف بيهودية ما يسمي إسرائيل المقامة ظلما علي أرضنا، هو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ولأهلنا الصامدين في أرض ١٩٤٨، وخيانة لعهد الشهداء وخيانة لأسرانا الصامدين في معتقلات العدو ينتظرون الموت البطيء .

وكانت العديد من فصائل المقاومة قد أعلنت استنكارها للمؤتمر الذي يتم برعاية أمريكية واعتبرت أنه سيؤدي إلي التنازل عن الحقوق الفلسطينية، كما اندلعت

تظاهرات عارمة بالأراضي الفلسطينية تنديدا بالمؤتمر، ومؤكدة التمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وقد انعكس هذا الموقف على الشارع الفلسطيني في غزة حيث أبدى الكثير منهم تشاؤمهم تجاه النتائج التي ستئول أيها المباحثات وقال رجل أعمال فلسطيني لا ننتظر شيئا من أنابوليس سوى المزيد من المعاناة هنا في غزة ، ملخصا بذلك شعور غالبية كبيرة من سكان القطاع المعزول عن العالم. (1)

أما عضو الكنيست " طلب الصانع " رئيس كتلة القائمة الموحدة العربية للتغيير فقال لوكالة فرانس برس : " إننا نخاف من الترانسفير، وذلك على خلفية الأحاديث عن تبادل سكاني". وأبدى خشيته من أن "تسعى إسرائيل إلى استغلال موضوع دولة يهودية خالية من العرب وعندما يكسب هذا المصطلح الصفة الدولية يتم تنفيذه".

وتابع طلب الصانع : " إن دولة إسرائيل نفذت ترانسفير عام ٤٨ بحق الشعب الفلسطيني من دون إذن من الشرعية الدولية، فماذا ستفعل إذا حصلت على شرعية الدولة اليهودية، ستقوم بترانسفير آخر لباقي العرب في إسرائيل ؟ " .

ويبلغ عدد عرب إسرائيل ١٦٠ ألف فلسطيني بقوا في أرضهم بعد إنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨، واليوم هناك ١.٢ مليون شخص يشكلون ١٩% من مجمل سكان إسرائيل، وقال طلب الصانع : " الإسرائيليون يعتبرون أنهم ارتكبوا خطأ تاريخيا بإبقاء فلسطينيين في إسرائيل، فقد بتنا اليوم أكثر من مليون مواطن". وأوضح : " نحن لسنا ضد أن تكون هناك دولة لليهود كحق تقرير مصير للشعب اليهودي، كما أن تكون الدولة الفلسطينية كحق تقرير مصير للشعب الفلسطيني، فواقع

---

(1) جريدة الرأي لأردنية بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧

الدولة يهودي ولكن ليس على خلفية العقلية الصهيونية بأن يكون كل مواطن في الدولة يهوديا ".

وأشار إلى أن مؤتمرات تعقد في إسرائيل حول الترانسفير، " ما كان في السابق حديث حزب موليدت عن الترانسفير بات حديث كل الأحزاب: حزب العمل والليكود وإسرائيل بيتنا، حيث تتحدث عن إخراج حدود أو مبادلة أراض في المثلث وتغيير ديموغرافي، لماذا لا يقولون دولة للشعب اليهودي فيها مواطنون عرب لهم الحقوق نفسها ؟ ".

من جهته قال عضو الكنيست عن حزب التجمع " جمال زحالقة " : " بالطبع إسرائيل دولة يهودية في الواقع لكن الاعتراف بها فلسطينيا وعربيا ودوليا يعني أن العالم يمنح شرعية للسياسات الناتجة عن يهوديتها، بما يمس قضايا المواطنة والحقوق والمساواة والأرض" . وأكد أن : " الاعتراف بدولة يهودية يعني تقليص الحقوق أكثر فأكثر" ، موضحا : " هذا يعني أنه يغلق أمامنا الأبواب أمام طرح قضايانا على المستوى الدولي ويعطي شرعية لهذا التمييز والحصار علينا بتحويلنا إلى رعايا وليس مواطنين " .

وأشار إلى أن " ما هو مطروح الآن ويتحدث عنه الرأي العام الإسرائيلي يعطي إسرائيل حق الترانسفير في حالات معينة وتبديل أراض " . [1]

فصل الخطاب في التسوية السلمية

الحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يدركون . بشكل كافٍ . أن القوة العسكرية الهائلة قد تصلح أداة تأديب وعقاب مرحلية ولكنها لا تستطيع علي المدى الطويل أن تقمع إرادة أي أمة أو أن تلغي تاريخها أو تدمر حضارتها أو تمحو ثقافتها.

([1]) جريدة القبس بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧

وأن الولايات المتحدة الأمريكية مازالت عاجزة عن تحقيق أي اقتراب حقيقي من درجة الفهم لأحلام وطموحات الشعوب العربية وهي أحلام وطموحات متواضعة ومشروعة لا تستوجب التعامل معها بمنطق الاستعلاء والتلويح الدائم بالعصا الغليظة كاستجابة لنصائح المحرضين في تل أبيب بأن كثيرا من الترهيب وقليلا من الترغيب هو الذي يصلح لتركيع وتطويع المواقف العربية !

إن القول مثلا بضرورة أن يسلم العرب بحق إسرائيل في أن تكون دولة يهودية لا مكان فيها للفلسطينيين المسلمين والمسيحيين كشرط للمضي في عملية السلام لا يمثل فقط نوعا من الترهيب وإنما هو استخدام فظ لجبروت القوة الذي يؤدي لتصاعد درجة النفور من السياسة الأمريكية في المنطقة.

ومن هنا يتحتم علي الولايات المتحدة الأمريكية أن تستثمر التجاوب العربي مع دعوتها لعقد مؤتمر السلام في إعطاء إشارات حقيقية يمكن أن تمهد لتغيير الوجه الفظ للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة.

إن المأزق الحقيقي ليس في تباعد المواقف وإنما في المناخ العام الذي يثير شكوكا في جدية ومصداقية الالتزام الأمريكي بالسعي لإنتاج حل سياسي للصراع العربي الإسرائيلي يرتكز في أساسه إلي مقررات الشرعية الدولية.

وهنا أقول بكل الوضوح وبكل الصراحة إنه لابد أن تصدر عن واشنطون أشارات جادة ببداية عصر جديد في العلاقات الدولية بوجه عام وفي علاقاتها بدول المنطقة بوجه خاص، لكي تختفي كل مظاهر السنوات العجاف الأخيرة التي لم يكن لها عنوان سوي القوة، ولا صوت مسموع سوي صوت القوي الذي يحتكر حق تعريف المفاهيم والمصطلحات ولديه القدرة علي أن يسمي المقاومة إرهابا وأن يصف الإرهاب بأنه حق مشروع للدفاع عن النفس عندما يتعلق الأمر بالآخرين!

لقد آن الأوان لكي تتجه أمريكا نحو مفهوم جديد بأن قوة أمريكا في قدرتها علي صنع الوفاق وليست كما هو حادث الآن في احتكار وضع المواصفات لحقوق الإنسان وأشكال الديمقراطية بازدواجية مفضوحة للمعايير تعكس حدة تناقض المفاهيم من مكان لآخر وبما يعني أن المفاهيم عند واشنطون لا تنطلق من التزام بمبادئ بعينها، وإنما تنطلق من حسابات المصلحة فقط علي غرار ما شهدناه مستفزا بأن تكون الدولة المارقة أمس دولة معتدلة اليوم، فالمسميات تتغير وفقا لمعايير متقلبة، ومن ثم فإن ما هو معتدل اليوم قد يصبح متطرفا وشريرا بحسابات الغد، ومن كان يقال إنهم أوغاد في الأمس يمكن أن يقال عنهم غدا إنهم عقلاء وحكماء يستحقون التصفيق والتشجيع!

وفي اعتقادي أن المرحلة المقبلة ربما تكون أهم وأخطر المراحل في تاريخ القضية الفلسطينية.. الأمر الذي يتطلب مزيدا من الوعي، ومزيدا من المرونة، ومزيدا من القدرة علي تلافي وتجنب أخطاء تكتيكية واستراتيجية، ليس هذا أوانها.. فالحلم الفلسطيني في الاستقلال وإقامة الدولة واستعادة القدس وإنهاء الاستيطان، وحل مشكلة اللاجئين ينبغي أن يكون أكبر من أي شخص وفوق أي اعتبار أو أي صراع فلسطيني علي السلطة !

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية جادة وصادقة في دعوتها وتريد بالفعل أن يحقق مؤتمر أنابوليس أهدافه في بناء سلام حقيقي فإن عليها أن تقنع إسرائيل بأن السلام له شروط أهمها أنه لا يمكن أن يقوم أي سلام علي الغزو والعدوان واحتلال أراضي الغير بالقوة المسلحة .

ثم إن علي واشنطون أن تكف عن مباركة وتأييد منهج إسرائيل في اعتبار ورقة الأمر الواقع كأنها مساحة مفتوحة للتنازلات الجوهرية من جانب الفلسطينيين في مقابل تنازلات شكلية تقدمها إسرائيل .

ولست أشك للحظة بأن الأطراف العربية والفلسطينية التي ذهبت إلي أنابوليس لتأكيد استمرارية ومصداقية القبول العربي بخيار السلام تدرك جيدا بأن نقطة البداية في أية مفاوضات هي مرجعيتها الواضحة... وبعد ذلك فلا خلاف علي أن السلام كما علمتنا دروس التاريخ يحتاج إلي صراع تفاوضي يتطلب أسلحة قتال قوامها عقول مستنيرة وحجج دامغة ووثائق ومستندات لا يمكن التشكيك في صحتها ومشروعيتها.

ثم إنني لا أشك للحظة في أن الأطراف العربية والفلسطينية تدرك جيدا الفرق الشاسع بين الاعتدال والتخاذل، فالاعتدال إعمال للعقل في القدرة علي التمسك بالحق في حين أن التخاذل هو التطرف السلبي من خلال تضخيم الإحساس بالخوف من الخوف... وليس التهور فقط هو علامة التطرف، وإنما الجبن والخوف والاستسلام هو الذي يجسد أقصي درجات التطرف السلبي !

وربما يعزز من صحة ما أقول به لبناء موقف تفاوضي عربي فلسطيني قوي ومتماسك أن هناك مجموعة من العوامل أهمها ما يلي :

إن حاجة إسرائيل إلي التوصل إلي اتفاق للسلام تماثل بنفس القدر حاجة الأطراف العربية والفلسطينية لذلك، مع فارق بسيط . تتحمل أمريكا مسئولية إزالته . وهو أن إسرائيل تريد سلاما علي مقاسها وتتحدث عن الأمن المقدس لها دون أن تضع في الكفة الأخرى اعتبارات الأمن والحقوق التاريخية المشروعة للآخرين. إن غالبية المجتمع الدولي باتت علي يقين بأن سبب تعثر جهود السلام علي مدي السنوات الأخيرة يرجع في المقام الأول إلي إصرار إسرائيل علي مواصلة تجاهل المبادئ والمرجعيات التي تم إقرارها في مؤتمر مدريد عام١٩٩١ وأهمها مرجعية الأرض مقابل السلام والاعتراف الواضح من جانب كل طرف بالحقوق المشروعة للطرف الآخر حسبما تنص علي ذلك مقررات الشرعية الدولية.

وسواء أكان الذهاب إلي أنابوليس نصف خطوة علي طريق الحل أو مجرد فرصة مثل عشرات الفرص التي ضاعت من قبل فإنها ربما تكون المرة الأولي التي يمكن للأطراف العربية والفلسطينية أن تكسب منها بأكثر مما تخسر إذا استطاعت هذه الأطراف أن تدرك الفارق الواسع بين التجاوب مع نداءات السلام لاستكشاف النيات الحقيقية وبين الهرولة المرفوضة طلبا للسلام بأي ثمن!

والمهم أن تصل رسالتنا العربية والفلسطينية إلي الجميع بأننا ننشد سلاما حقيقيا وليس سلاما مؤقتا ثم إن السلام لا يصنعه الأمر الواقع مهما يطل الزمن ومهما تتعاظم القدرة علي توظيف واستخدام أية اختلالات طارئة في موازين القوي ! [1]

***

([1]) مرسي عطا الله جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧